

عظماء في عصرنا

عظماء في عصرنا

عظماء في عصرنا

تأليف :

كارول كرستين

ترجمة :

عامر عثمان الصمادي

(٧،١٢٠)

عام عامر عثمان الصمادي

عظماء في عصرنا / عامر عثمان الصمادي .ــ

عمان : دار الماسرة ١٩٩١ .

(١٠٠) ص .

ر.أ (١٩٩١/٩/٤٨١) .

١ . الرجال ــ تراجم أ . العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية (١٩٩١/٩/٤٨١)

الطبعة الثانية

١٩٩٣

دار مجدلاوي

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٦١١٦٠٦ فاكس ٦٢١٠٥٩

ص ب ١٨٤٢٥٧ عمان - الأردن

الفهرس

الإهداء

إلى الذين كانوا عظماء بأفعالهم
ولم يذكرهم التاريخ.

إلى

شهداء بلادي

مقدمة

بقلم: د. نبيل الشريف

إنه لمن دواعي سروري أن أقدم للقراء الكرام هذا الكتاب القيم المسمى (عظماء في عصرنا) للمؤلفة كارول كريستين والذي قام بترجمته السيد عامر الصمادي، ولا شك أن الحديث عن العظمة والعظماء حديث شجي وله موقع خاص في النفوس.

فالعظماء هم المشاعل التي تضيء لنا طريق الخير والنجاح، وهم النموذج الأسمى للتضحية والعطاء وتقديم مصلحة المجتمع والأمة على المصلحة الفردية. وللعظماء أيضاً أياد بيضاء لا تنسى وإسهامات خالدة طيبة في سجل العطاء الإنساني، لهذه الأسباب مجتمعة ولغيرها من الأسباب تهفو النفس البشرية للاستزادة من تاريخ حياة العظماء ولمعرفة الطرق التي سلكوها والمصاعب التي اجتازوها لتحقيق عظمتهم وتميزهم في مختلف مجالات الابداع، ولترك بصماتهم الخيرة بأحرف من نور على جبين البشرية.

ورغم التحفظ على قائمة العظماء التي شاءت المؤلفة أن توردها مستثنية بذلك النابغين والمبدعين من أبناء الأمة العربية والإسلامية، فإن هذا العمل مهم لأنه يقدم تسجيلاً لواقع السيرة الذاتية لنفر من العظماء والخالدين في مختلف جوانب العطاء الإنساني. فثمة زعماء مناضلون من أجل استقلال بلادهم أو أبناء جلدتهم من مثل الزعيم الكيني جومو كينياتا وداعية التحرر الهندي المهاتما غاندي والمناضل الأسود مارتن لوثر كينغ. وثمة علماء وأطباء من مثل فرويد رائد طريقة التحليل النفسي وألبرت شويتزر الطبيب والمفكر الذي ساهم في محاربة المرض في أفريقيا وهيربرت جورج ويلز الذي تنبأ بكثير من المنجزات العلمية من خلال كتاباته. وهناك أيضاً الفنانون والمعلمون

أمثال ماريا مونتسوري التي تعد واحدة من رائدات تعليم الأطفال في العالم والفنان العبقري بابلو بيكاسو صاحب المدرسة التكميبية في الفن الحديث ولا شك أن التوقف عند المعالم البارزة في السير الذاتية لهؤلاء المبدعين يقدم لنا العبرة والعظة ويجسد أمامنا صوراً خالدة في سفر الابداع الإنساني.

إن الجهد الطيب الذي بذله المترجم السيد عامر عثمان الصمادي يستحق أيضاً وقفة ثناء وإشادة. فقد نجح المترجم في نقل النص بلغة عربية سلسة استطاع من خلالها أن يجسر الهوة الحضارية بين النص الأجنبي وبين المتلقي العربي. وقد عرفت السيد عامر الصمادي كأحد طلابي النابغين أيام تدريسي في قسم اللغة الانجليزية بجامعة اليرموك. وقد استطاع أن يشق طريقه في الحياة الأكاديمية ومن ثم الابداعية والإعلامية بثقة واضحة وحماس متقد. ولا يساورني شك في أن السيد الصمادي سيواصل إبداعه وعطاءه في كل ما سيضطلع به من مسؤوليات في المستقبل، أشد على يده وأتمنى له إضطراد النجاح.

مقدمة المترجم

لطالما شغفت بالعظمة والعظماء من الرجال الذين استطاعوا أن يتركوا بصماتهم الواضحة على شعوبهم وبلدانهم، وبعضهم تجاوز ذلك إلى العالم أجمع فكان شخصية مؤثرة على مستوى البشرية جمعاء.

ولطالما سألت نفسي ما الذي جعل من هؤلاء أناساً عظماء؟ ما هي صفاتهم العظيمة وخصالهم الجليلة التي سببت لهم كل هذه الشهرة؟ حتى أن واحداً منهم كان يجعل الناس يصومون عن الطعام والشراب بكلمة واحدة منه، وهما حاجة إنسانية لا غنى للبشر عنها، الجواب بكل بساطة هو التضحية والمحبة فمن يحب الآخرين ويضحي لأجلهم لا بد أن يحبه الآخرون ويبادلوه شيئاً مما أعطاهم، وهكذا يعظم الرجال.

في هذا الكتاب حديث عن عشرة شخصيات اعتقدت الكاتبة أنها شخصيات أثرت في شعوبها وغيرت الكثير من الأمور التي كانت سائدة في عصرها. ونظراً لأن الكاتبة غربية الحضارة والثقافة والهوى فإنها لم تستطع التخلص من عقدة التعالي على الآخرين إلا فيما ندر، فهي تختار ثمانية شخصيات من أصل عشرة اعتبرتهم عظماء بلدانهم وهؤلاء الثمانية هم من الحضارة الغربية ولم تختر من الشرق سوى غاندي من الهند واختارت جوموكينياتا من افريقيا، ويبدو أن الكاتبة تناست أن الشرق

في الأصل هو موطن العظماء من الرجال وتاريخنا العربي قديماً وحديثاً حافل بالعظماء الذين قدّموا من التضحيات ما يعجز عن وصفه قلم أو لسان، ولم استغرب شخصياً عدم إشارة الكاتبة إلى أي من عظماء الشرق لأنها كما قلت تستند إلى حضارة أساسها النظرة الفوقية إلى الآخرين ومحاولة طمس انجازاتهم الحضارية وعدم الاعتراف لهم بالتميز في أي مجال من مجالات الحياة. على كل حال يستطيع القارئ العربي أن يدرك ذلك من خلال مطالعاته الذاتية ومعرفته بعظماء أمته وقد أردت من ترجمة هذا الكتاب اطلاعه - أي القارئ العربي - على عدد من الرجال المميزين لعل في ذلك حفز وتشجيع لنا ولأجيالنا القادمة على الاقتداء بالعظماء من الرجال من أي ملة كانوا، فنعود كما كنا ذات يوم أمة عظيمة، تكون العظمة فيها سلوكاً يومياً وليس أمراً مستهجناً، وسوف أحاول في كتاب لاحق - بإذن الله - تقديم شخصيات عظيمة من العرب والمسلمين ليقارن أبناؤنا بينهم وبين غيرهم من عظماء الأمم وليتعرفوا عن قرب على عظماء هذه الامة.

عامر الصمادي

رائد عصر الفضاء

هيربرت جورج ويلز

هيربرت جورج ولز يعمل في مكتبة (١٩٤٠).



في بداية هذا القرن كان الكتّاب الانجليز يتمتعون بقدر كبير من الاحترام ليس فقط في بلادهم بل في جميع انحاء العالم، اذ ان الناس كانوا يقرأون الكتب والصحف اكثر من اي وقت مضى، وكانت اجور الكتاب مرتفعة ويحظون بالتقدير اللازم، ويشير الناس إليهم اينما ذهبوا فقد كانوا شخصيات مشهورة.

هناك اسماء عظيمة كثيرة من اسماء كتاب تلك الفترة مثل توماس هاردي وجوزف كونراد وهنري جيمس، ويمكن ان نطلق على كثير منهم (رجال الكلمة) ذلك ان معظمهم قد درس الشعر القديم وتعلموا لغات مثل اللاتينية واليونانية وهذه هي المواضيع التي كان يدرسها المثقف، ومع ذلك فقد كان هناك كاتب واحد يعرف القليل من هذه الاشياء، كاتب علّم نفسه بنفسه وكافح كفاحاً مريراً كي يحصل اصلاً على تعليمه وثقافته. كان مجاله في العلوم، وبشكل خاص كان مهتماً بالأحياء (البيولوجي)، كان اسم هذا الكاتب هو هيربرت جورج ويلز Herbert George Wells.

ولد ويلز في عام ١٨٦٦ في الوقت الذي بدأت فيه الاكتشافات العلمية تغير العالم، فقد اصبحت الآلات تقوم بالعمل في المزارع والمصانع واصبحت السفن والقطارات تسير بقوة البخار فأصبح بإمكان الناس التنقل لمسافات ابعد واسرع والفضل يعود الى هذه الآلات الميكانيكية التي بدأت تسيطر على العالم الذي نعيش فيه. اتجه الناس نحو العلم كي يجدوا اجابات لأسئلتهم كما فعلوا سابقاً واتجهوا نحو الدين، ففي انجلترا كان قليل من الناس مقتنعين بالاجابات التي تقدمها المسيحية وقد اقتنعوا بأن

العلم سيقدم اجابات شافية للأسئلة التي تتعلق ببدء ونهاية الحياة البشرية على الأرض، لذلك آمنوا بالعلم. لكن عدداً قليلاً من الكتاب تفهموا التغيرات العظيمة القادمة، فالعلم يمكنه الآن ان يجعل حياة الانسان أسهل وأغنى وأكثر راحة، وبالعلم يقضي الانسان على الأمراض ويكسب الحروب، لكن ماذا يعني كل ذلك لمستقبل الانسان؟

بما ان هـ.ج. ويلز تعلم ان يفكر بطريقة علمية فقد تطلع الى مستقبل البشرية في ضوء المعرفة العلمية، فعندما حاول ان يتخيل اول رحلة الى القمر او حرباً بين الكواكب، تخيل احداثاً ممكنة من الناحية العلمية. وبما ان العلم قد تطور الى هذا الحد فمن الممكن ان يتطور أكثر مما جعل كتبه اكثر متعة كان بإمكانه ان ينظر إلى المستقبل فأخذ قراءه معه ليشاركوه ذلك المنظر الرائع.

كان ويلز رجلاً شجاعاً طموحاً استطاع ان يحصل على أفضل ما يمكن الحصول عليه من طفولة صعبة، فقد كان والداه يعملان خادمين في بيت ريفي جميل جنوب انجلترا.

وبعد ان ولد طفلهما افتتحا متجراً لفترة من الوقت لكنه لم يكن ناجحاً في ذلك الوقت، وعلى الرغم من انهما كانا يعلمان ان ابنهما ذكي بشكل غير عادي الا انهما لم يفهماه، لأن كل ما كانا يتمنيانه له هو ان يحصل على عمل ثابت وأجر منتظم.

عندما بلغ (بيرتي) وهو اسم التحبب سن الثالثة عشرة أرسل ـ مثل اخوته ـ ليعمل في متجر وتعلم التجارة، لكن ذهنه لم

يكن منصرفاً الى البيع والشراء فقد كان يقرأ كتبا في الوقت الذي يتوجب عليه فيه ان يعمل فلا احد من زملائه يشاركه طموحه. لقد كانوا يضحكون من صبي المتجر الصغير الذي يقضي وقته في القراءة والمناقشة. ومع انه لم يكن يتقن شيئاً آخر الا انه لم يستطع ان يعتاد على حياة المتجر فازدادت حالته سوءاً الى ان هرب أخيراً عائداً الى امه التي وجدت له عملاً آخر، ثم عملاً آخر، لكن في كل مرة كان يحدث نفس الشيء. لم يكن الغلام مكسباً فهو يكره العمل واصحاب العمل لا يسرون به، ومع ذلك فقد كان ابواه يصران على تعلمه التجارة خوفاً من أن يكون فاشلاً.

كاد الاحباط يتسرب الى نفس ويلز، لكن أخيراً وعندما كان في السابعة عشر وجد لنفسه عملاً كمعلم متدرب في احد المدارس حيث يستطيع ان يتابع مشوار حياته بتعليم الصغار وتعليم نفسه في آن معاً. واستطاع ان يستفيد من وقته جيداً هناك فاجتاز امتحاناً إثر امتحان حتى تمكن من الحصول على مقعد في جامعة لندن لدراسة العلوم، وحتى ذلك الوقت كانت حياته ما تزال صراعاً مريراً إذ لم يكن لديه المال الكافي لإعالة نفسه اضافة الى سوء حالته الصحية، ففي كثير من الأحيان يكون مريضاً وفي بعض الأحيان يقترب من الموت، وفي اغلب الأحيان لم يكن يملك بنساً أو بنسين ولولا مساعدة اصدقائه له لمات جوعاً.

كانت روح ويلز قوية صلبة على الرغم من ان جسده لم يكن كذلك، اكتشف في لندن عالماً مليئاً بالناس الطيبين وافكاراً جديدة طالما حلم بها ايام عمله في المتجر، واصبح لديه اصدقاء

يشاركونه تقدمه العلمي، وتزوج بعدها واصبح يعيل زوجته من عمله بالتدريس والكتابة وأي عمل آخر يمكنه القيام به.

وقد اصبح كاتباً متفرغاً للكتابة بالصدفة، اذ ان صحته قد بدأت تتدهور وصدره اصبح ضعيفاً حتى انه غالباً ما كان يسعل دماً فكان لا بد له من فترة راحة طويلة من العمل، وبهذه الطريقة اكتشف موهبته الفذة في كتابه القصة.

وقصص ويلز ممتعة ومثيرة لكنها ذات مغزى ايضاً، فقد أراد ان يعبر عن وجهة نظره في الحياة وأن يغير اشياء كثيرة في العالم لأن العالم كما بدا له يتجه نحو الدمار، فأراد ان يهيء الناس لما قد يجلبه العلم من الناحيتين الايجابية والسلبية (الخير والشر)، وآمن بأن المعرفة العلمية اذا ما استخدمت كما ينبغي فإنها سوف تعطي الانسان مفتاحاً نحو مستقبله، فأراد ان يستعملها الانسان بحكمة.

في كتابه الأول (آلة الزمن) كتب ويلز عن رحالة يسافر عبر الزمن الى عام ٨٠٢٧١، وفي كتابه (الرجل الخفي) كتب عن رجل يملك القدرة على اخفاء نفسه يصل الى قرية انجليزية، وفي كتابه (حرب الأكوان) تهبط الى الارض مخلوقات من كوكب المريخ الى الارض وبالذات الى انجلترا لتسيطر على البشر هناك. فتختفي مظاهر الحياة المألوفة ويتجه مجتمع القرن العشرين فجأة نحو الدمار ولا يعود ذلك الشعب الفخور بنفسه سوى حيوانات.

في جميع قصصه التي تشبه الأحلام يواجه اناس حقيقيون فجأة

أوضاع غريبة وغير مألوفة، ففي عالم سريع التغير مثل عالمنا لا تبدو مثل هذه الاحداث مستحيلة الحدوث، بل لا بد واقعه، فلماذا لا نكون مستعدين لها كما يرى ويلز. ويرسم ويلز صورة مرعبة لما يمكن ان يصبح عليه رجل العلم اذا لم يستطع السيطرة على القوة التي طورها، وهو يتساءل في قرارة نفسه هل نحن متأكدون ان الانسان سيتطور بما يتناسب وزيادة قوته؟

تظهر لنا قصصه ان آناس عام ٨٠٢٧٠١ والرجل الخفي وأولئك الرجال القادمون من المريخ ليسوا افضل او أكثر سعادة من الانسان العادي الذي نعرفه يمكنهم القيام بأشياء لا نستطيع القيام بها لكنهم فقدوا انسانيتهم، فقد ضحّوا بالعواطف مثل الحب والشفقة واللطف ليتحولوا الى قوة مرعبة تشبه الآلة.

كتب ويلز في مواضيع عديدة ويعد افضل ما كتبه يدور حول شباب بسطاء سذج كما كان هو نفسه، ففي قصتيه (كيبس) و(تاريخ السيد بولي) استعمل تجربته المؤلمة في النمو في عالم كان صعباً بالنسبة للفقراء، وتجعلنا شخصياته نضحك ونبكي معاً، وكما كانت كتبه الأولى فقد اصابت هذه الكتب نجاحاً وما زالت تستحق القراءة اليوم. في قصته (آن فيرونيكا) كتب حول حب رجل وامرأة بإخلاص يزعج الكثيرين، وهذه ايضاً تتضمن هدفاً جاداً، فويلز يريد ان يغير عادات الزواج في بلاده ليعطي الزوجين حرية اكبر.

أصاب ويلز نجاحاً سريعاً واستمرت شهرته طيلة فترة حياته. ولكن نجاحه ككاتب لم يكن كافياً بالنسبة له، فقد اراد ان يغير شكل العالم، اذ كتب عدة كتب ومقالات جادة حول العالم كما

كان ، وكما يمكن ان يصبح فلفت الانتباه ، لقد كان بمثابة رسول يكف عن تحذير الأمة من (شكل الاشياء القادمة) وهو اسم كتاب آخر له ، لقد تنبأ بعدة اشياء منها على سبيل المثال ، الحروب ، وارتياد الفضاء ، وفي حياته الطويلة ـ عاش نحو ثمانين عاماً وكتب ما يزيد عن سبعين كتاباً ـ شاهد الكثير من نبوءاته تتحقق ، اما خوفه من الا يتمكن الانسان من استعمال القوة التي اعطاه اياها العلم بشكل صحيح فإن الكثير من الناس يشاطرونه هذه التخوفات الآن .

كان ويلز رجلاً صغير الحجم الا انه اصبح شخصية عظيمة في حياتنا فقد تنبأ بعصر الفضاء قبل ان يتمكن الانسان من الطيران .

كتب عام ١٨٩٨ وهو في انجلترا كلمات تبدو وكأنها حديثة جداً كآخر هبوط على سطح القمر ، لقد قال : «ان كوكبنا يمكن القول انه لن يستمر آمناً ليعيش الانسان فيه» ، وصور لنا وقتاً عصيباً يمكن ان يأتي اذا لم نستمع الى تحذيراته ، وقت يكون فيه العالم صعباً وصامتاً في ظل ذلك اليوم الكبير .

من أين تأتي الأحلام

سيجموند فرويد

فرويد اهتم بمعاناة الآخرين.



هل تنتابك الأحلام في الليل؟ كل الناس يحلمون وعندما يستيقظون في الصباح يتساءلون، يا له من حلم غريب ما الذي جعلني أحلم؟ في بعض الأحيان تكون الأحلام مرعبة ومخيفة، تهاجمنا فيها مخلوقات عجيبة، او قد نطير في الهواء أو نتدحرج عن قمم الجبال، وفي احيان أخرى قد تسبب لنا الاحلام المشكلات، فتشوش كل شيء عندها نحس اننا ضائعون وأن العالم مقلوب ولا شيء له معنى، ومن الغريب ان الأحلام قد تتحقق في بعض الأحيان.

في الأحلام نتصرف بغرابة فنفعل اشياء لا يمكن ان نفعلها في الصحو ونقول اشياء ونفكر بها ما كنا لنفكر بها او نقولها ونحن مستيقظون، فما هو سر غرابة الأحلام ومن اين تأتي؟ حاول الناس الاجابة على هذا السؤال منذ الأزل، لكن لم يستطع اي شخص ان يقدم اجابة مقنعة اكثر من اجابة شخص يدعى (سيجموند فرويد). يقول فرويد «ان عالم الاحلام بالنسبة للانسان عالم غريب وغير مألوف لأن الأحلام تأتي من جزء من عقل الانسان لا أحد يدركه او يستطيع السيطرة عليه وذلك هو العقل الباطن (اللاوعي).

ولد سيجموند فرويد Sigmund Freud في مدينة فينا بالنمسا وتوفي في لندن بعيد بداية الحرب العالمية الثانية. لقد كان مكتشفاً عظيماً في تاريخنا لكن العوالم التي اكتشفها كانت في داخل الانسان نفسه، فالعقل اللاواعي يشبه جباً عميقاً مليئاً بالذكريات والمشاعر وهذه الذكريات والمشاعر مخزونة هناك منذ لحظة مولدنا ـ وربما قبل مولدنا ـ ونسيها عقلنا الواعي، ولا

نشك في انها هناك تضطرنا حادثة ما غير سعيدة او غير عادية على التذكر او الحلم. ففجأة نشاهد وجهاً نسيناه منذ امد بعيد، او نشعر بالغيرة والاحباط كما شعرنا عندما كنا اطفال.

يعتبر هذا الاكتشاف لفرويد مهماً جداً اذا اردنا ان نفهم سبب تصرف الناس بتلك الطريقة، فقوى اللاوعي التي في داخلنا تعادل قوى الوعي التي نعرفها.

لماذا نختار صديقاً بدل آخر؟ لماذا تسبب لنا قصة ما البكاء او الضحك بينما لا تؤثر فينا قصة اخرى نهائياً؟. ربما نعرف لماذا، واذا كنا لا نعرف فلربما يقبع السبب عميقاً في عقلنا الباطن.

عندما كان فرويد صغيراً أراد ان يكون جندياً يحقق الشرف لبلاده، اذ كانت المانيا والنمسا في حالة حرب، واعتاد ابوه ان يأخذه الى محطة القطار ليشاهد القطار وهو عائد من ساحة المعركة مليء بالجرحى الذين فقدوا عيناً او ساعداً او ساقاً، وكان الكثير منهم يعانون من الم شديد.

راقب سيجموند الصغير الجرحى وهم ينقلون من القطارات الى عربات الاسعاف التي تحملهم الى المستشفى، وشعر بالأسى تجاههم حتى انه قال لمعلمه ذات مرة في المدرسة (دعونا نحن الطلاب نقوم بعمل الضمادات للجرحى كما تفعل اخواتنا في مدرسة البنات).

كان فرويد يهتم بمعاناة الآخرين، فليس من المستغرب ان يصبح طبيباً عندما يكبر ومثل كل الأطباء فقد تعلم كل شيء

عن الجسم البشري، الا انه اصبح فضولياً فيما يخص العقل البشري. ذهب الى باريس كي يتعلم من طبيب فرنسي مشهور اسمه جاركوت Charcot اختص بدراسة امراض العقل والاعصاب، في ذلك الوقت لم يكن هناك احد يعرف الكثير عن العقل، فإذا ما جن شخص او (خرج من عقله) فلم يكن يُعرف ما يمكن عمله لراحته وراحة عائلته، اذ لم يكن الناس يعرفون ماذا حصل له هل سكنته روح شريرة او شيطان؟ ام ان الله يعاقبه لأعماله السيئة، وغالباً ما كان مثل هؤلاء الناس يُحجر عليهم او يمنعون من مخالطة الاسوياء وكأنهم قد ارتكبوا جريمة نكراء، مع العلم ان هذا الاعتقاد ما زال سائداً حتى يومنا هذا في بعض المناطق.

يفضل الأطباء أن يفحصوا الاجزاء التي يمكنهم رؤيتها ومعاينتها من الجسم، اذا ما فتحت رأس رجل فإن بإمكانك رؤية عقله، لكن لا يمكنك رؤية افكاره او آرائه او احلامه.

كان عدد قليل جداً من الأطباء ايام فرويد يهتمون بهذه المواضيع، فأراد فرويد ان يعرف ما الذي يجعلنا نفكر ونشعر بهذه الطريقة وكيف تعمل ادمغتنا، وقد تعلم الكثير حول هذا الموضوع من الدكتور جاركوت CHARCOT.

عاد الى فينا عام ١٨٨٦ وبدأ العمل طبيباً للأعصاب، تزوج بعدها وبدأ باستقبال المزيد من المرضى في منزله كي يستطيع اعالة زوجته. كان معظم مرضاه من النساء اللواتي كن مرهقات وقلقات، مريضات في عقولهن وليست اجسامهن فلم ينفعهن الدواء. ومع ان فرويد كان يرثي لحالهن الا انه لم يكن هناك الكثير ليفعله لهن.

في أحد الأيام جاءه صديق لزيارته اسمه الدكتور (جوزف بروير) واخبره عن فتاة مريضة كان يرعاها، ويبدو ان الفتاة كانت تتحسن عندما يسمح لها بالحديث عن نفسها، فجعلها الدكتور (بروير) تتحدث قدر ما يحلو لها، فأخبرته بكل ما يدور في خلدها سواء أكان يبدو مهماً أم لا، وفي كل مرة تتحدث فيها اليه كانت تتذكر اكثر فأكثر عن حياتها كطفلة صغيرة. ابتهج فرويد عندما سمع ذلك اذ اعتقد ان هذه هي الطريقة المناسبة لمساعدة مرضاه، وبدأ يعتني بهم بنفس الطريقة، فكان يسأل عن الأحداث المبكرة لطفولتهم، ويحثهم على الحديث، عن خبراتهم وعلاقاتهم، دون ان يتحدث هو نفسه الا ماقل.

وعندما يستمع لمرضاه فإنهم غالباً ما يستعيدون احداثاً معينة من حياتهم الماضية فتنتابهم نوبات من الغضب والخوف، الكره والحب، فيتصرفون وكأن فرويد هو ابوهم او أمهم او عشيقهم. ولم يكن هو يبدي أية محاولة لايقافهم فكان يدعهم يتحدثون كما يحلو لهم، ويحافظ على هدوئه ويتقبل كل ما يقولونه له بخيره وشره، وقد كان الحديث اليهم بمثل هذه الطريقة يجعلهم في بعض الأحيان يشفون من آلامهم.

ذات مرة جاءته فتاة في مقتبل العمر لا تستطيع الشرب رغم انها عطشى فهي قد ترفع كأس الماء إلى شفتيها ثم تدفعه بعيداً، كان هناك ما يمنعها من الشرب، وقد اكتشف فرويد سبب ذلك، ففي احد الأيام وبينما هو يستمع لها، تذكرت الفتاة انها شاهدت كلباً يشرب من كأس ممرضتها ولم تقم بإخبار الممرضة بذلك لأنها لا تحبها، ونسيت الأمر، لكن فجأة عادت هذه

الذكريات الطفولية الى ذاكرتها. وعندما شرحت كل ذلك للدكتور فرويد حول المرضة والكلب وكأس الماء استطاعت الفتاة ان تعود الى الشرب مرة آخرى.

سمى فرويد المعالجة بهذه الطريقة بـ(العلاج بالحديث) وسميت فيما بعد بطريقة التحليل النفسي Psychoanalysis، فعندما يتحدث المرضى بحرية عن الاشياء التي تقلقهم فإنهم غالباً ما يشعرون بتحسن فقد تعلموا ان يسيطروا على مخاوفهم، وربما لا يكون هذا مفاجئاً فكلنا نعلم كم سيساعدنا الأمر اذا بحنا بمشاكلنا الى احد اصدقائنا. كانت الاشياء التي يخبره بها المرضى في بعض الأحيان تسبب له صدمة، فقد اكتشف ان مشاعر الاطفال الصغار لا تختلف كثيرا عن مشاعر آبائهم.

الطفل الصغير قد يحب امه كثيراً لدرجة انه قد يرغب في قتل ابيه، وفي نفس الوقت فإنه يحب اباه وفي اعماق نفسه يخجل من هذه الرغبة، وبما انه من الصعب العيش بمثل هذه المشاعر المتناقضة فإنها تنسى وتختفي في العقل الباطن وتعود الى الظهور فقط في الأحلام المزعجة.

كان فرويد يخبر الأطباء الآخرين بكل ما يتوصل اليه، لكن معظمهم كانوا قلقين من هذه الاكتشافات حتى ان الدكتور (بروبر) خذله وأوقف تجاربه.

لقد كان من الصعب التصديق ان الناس يمكن ان يصابوا بالعمى او يفقدوا القدرة على الحديث بسبب ما كان قد حصل لهم وهم اطفال. كان العقل البشري يتحول الى مكان مظلم

مرعب.

هوجم فرويد من كل الجهات للاشياء التي قالها وكتبها، واصبح له العديد من الاعداء، لكنه كسب العديد من الاصدقاء ايضاً فقد آمن الكثير من الناس انه قد وجد على الأقل طريقة لفك اسرار العقل البشري ومساعدة الناس البؤساء الذين يرثى لحالهم. لقد وجد الاجابة على الكثير من اسئلة الحياة الكبرى.

اصبح فرويد مشهوراً في العالم كله وعلّم الآخرين كيف يستعملوا طريقة (العلاج بالحديث). ونتيجة لذلك لا نستطيع اليوم قياس مدى تأثيره على الفنون والآداب والعلوم، فالكتاب والمسرحيون والرسامون اضافة الى العاملين في المستشفيات والسجون والمدرسين، كلهم تعلموا شيئاً من هذا الرجل العظيم الذي كشف لنا عن الطريق الى (العقل الباطن).

ليست جميع آراء فرويد مقبولة اليوم، لكن الآخرين تبعوا خطواته وساعدونا على فهم انفسنا بشكل افضل، وبفضله وفضل من تبعه اصبح هناك امل اليوم أكثر مما كان في السابق للاشخاص الذين كان يطلق عليهم ذات مرة (مجانين).

الروح العظيمة

المهاتما غاندي

غاندي ينسج ثيابه (١٩٢٥).



يملك معظم الناس ـ على الأغلب ـ صوراً في اذهانهم عن رجل بسيط معروف للجميع وهو غـانـدي وربمـا تـوقعتـم مـن الصورة المرفقة اي نوع من الرجال كان، هل كان رجلاً مقدساً في هذا العالم الخاطيء؟ او هل كان هندياً مخلصاً يشتعل حباً لبلاده؟ هل كان حالماً يكره التطور والتقدم ويريد العودة الى حياة القرية البسيطة؟ أم هل كان محامياً طموحاً؟ ربما لا توافقون على معظم ما يقال عنه هنا لآن في شخصيته جوانب لا يستطيع أحد أن يحيط بها جميعها.

كان الشاعر طاغور هو أول من اطلق اسم مهاتما او الروح العظيمة على (ماهنداس كارامچاند غاندي)، فتلقف المعجبون به هذا الاسم ليطلقوه عليه الا انه هو نفسه لم يكن يحبه فلم يكن يرغب في ان تطلق عليه ألقاب او غيرها، لذا فمن الصعب وصف هذا الرجل ـ وهو من اعظم الرجال في عصرنا ـ بأي وصف آخر.

ورغم انه ليس هناك اي رجل كان له دور في نضال الهند السياسي للحصول على الاستقلال اكبر من دوره الا ان كلمة (سياسي) لا تناسبه فهو لم يطمع في السلطة او علو المرتبة. فقد رفض ان يتولى اي منصب وزاري أو أي مركز في حزب سياسي ولم يهتم بالثروة او السمعة او حتى الراحة.

لقد كان قائداً دينياً كبيراً، ورغم ذلك فليس هناك دين يملك الحقيقة كلها بـالنسبة لـه، فقـد وجـد الحقيقـة في كـل الأديان، وكان الناس من عقائد مختلفة يذهبون ليجلسوا بين يديه ويتعلموا منه، فوصلت تعاليمه الى قلوب البشر من مختلف

الملل. وعلى الرغم من انه كان هندوسياً ملتزماً الا انه لم يحاول تغيير دين الآخرين، لكنه حاول ان يرشدهم فهو يعتقد ان حياة الروح وحياة الفعل هما شيء واحد لا يمكن فصلهما، وان كل عمل له مضامينه الروحية والاقتصادية والاجتماعية، والروح ليست منفصلة ولا يمكن ان تكون كذلك، وليس هناك دين بلا سياسة ولا سياسة بلا دين فالايمان والعمل شيء واحد.

كان غاندي حالماً قضى حياته يجاهد كي يقنع العالم من حوله بأحلامه. حلم بعالم ليس فيه غني ولا فقير او سيد وعبد، عالم لا يخجل فيه انسان من مولده او وضعه الاجتماعي، وحلم بعالم يتمتع فيه الرجال والنساء باحترام وتقدير متساو ويحتفظون بحاجات الجسد تحت سيطرة ثابتة بحيث يحترم كل شخص المعتقدات الدينية لجاره. حلم بعالم يعيش فيه الناس ببساطة، يملكون القليل ويعيشون في قرى وليست مدناً وفوق ذلك اراد غاندي ان يعيش الناس بسلام سعداء فخورين بأنهم يعملون لأجل لقمة الخبز، ارادهم أن يعملوا بأيديهم وليس بالآلات وليقدم مثالاً على ذلك فقد كان يملك هو نفسه مغزلاً صغيراً يستعمله كل يوم.

إرتأى غاندي قبل كثير من الناس انه لم يعد بمقدور الارض تقديم الثروة والراحة لكل سكانها الا اذا طلبوا القليل لحاجاتهم واستعدوا للعيش ببساطة وبما يكفي لسد حاجاتهم فقط، وبهذه الطريقة يمكن ان يحل السلام بين البشر، ونجد هذه الأيام تحذيرات من علماء الأمم الغنية خوفاً من الوقوع في الشيء نفسه.

كان غاندي يلقي الخطب في بعض الأحيان الا انه كان يؤمن بقوة المثال الحي وأثره فعاش هو واتباعه حياة بسيطة منضبطة، يقومون بالأعمال الصعبة الشاقة (الوضيعة) يأكلون القليل وينامون اقل، ويخصصون وقتاً للصلاة والتأمل. وغالباً ما كان غاندي ينظف المراحيض بنفسه لأن هذا أمر ضروري ومفيد، فالقرويون الهنود لا يمكن ان يكونوا اصحاء اذا لم تكن عاداتهم نظيفة، وكان يقوم بهذا ليكون قدوة للآخرين فليس هناك عمل نظيف وآخر غير نظيف فكل الأعمال الضرورية ذات قيمة.

ولد موهنداس غاندي عام ١٨٦٩ في ولاية صغيرة غرب الهند لوالد صاحب وظيفة عالية. وكان هذا الجزء من الهند يحكمه في الماضي اناس من ديانات مختلفة، وعلى الرغم من ان عائلته كانت هندوسية الا ان عاداتهم الدينية كانت من ديانات مختلفة، فقد كانت تدين بعض الشيء للمسلمين والمعتقدات الآخرى، فأفراد اسرته لا يأكلون اللحم أو يشربوا الخمر ولا يدخنون ويقضون بعض الوقت بلا طعام (الصوم)، وفيما بعد غالباً ما كان غاندي يقول ان التفكير العميق والصلاة يستحيلان دون السيطرة على حاجات الجسد الملحة.

تعلم غاندي منذ طفولته الاحترام العميق لكل اشكال الحياة والتي تسمى (اهيماس)، وكلمة اهيماس تعني «الا تسبب الأذى لأي كائن حي». استمرت ممارسة الأهيماس جزءاً ثابتاً من تعاليم غاندي، بل حتى في النضال الأخير لتحرر الهند من الهيمنة البريطانية رفض ان يسمح لأتباعه باستعمال القوة، وفي بعض الأحيان كانت الجماهير التي يقودها تخرج عن السيطرة

فتحدث الكثير من الخراب والعنف لكنهم لم يفعلوا ابداً مثل ذلك بإذن او معرفة غاندي.

لم يكن (موهنداس) الصغير يختلف عن الصبية الآخرين، اذ كان غلاماً هادئاً وليس متفوقاً في المدرسة، يكره الرياضة وكل الألعاب الجماعية، تزوج في سن الثالثة عشر عندما كان لا يزال في المدرسة، وهذا هو السن الذي تزوج به بقية اخوته، وأقام له والداه مأدبة كبيرة، اما زوجته (كاستوباري) فقد كانت بنفس سنه الا انها لم تتلق الا القليل من التعليم، ومع ان غاندي كان زوجاً مخلصاً (وفياً) الا انه نظر بعد فترة الى هذا الزواج نظرة عار، وحاول جل جهده ان يبعد شعبه عن عادة زواج الأطفال، لكن هذه العادة ما زالت موجودة الى اليوم.

عندما كان غاندي صغيراً أقام صداقات مع الأطفال الذين كانوا يأتون الى المنزل لتنظيف الحمامات فقد شعر بالرثاء تجاههم، والذين يقومون بهذه الاعمال (المزرية) في الهند ينتمون الى طبقة من الهندوس تسمى (المنبوذون)، والذين لم يكن يسمح حتى لخيالهم ان يلامس هندوسياً من الطبقة العليا، ويعتقد ان حياتهم الصعبة هي عقوبة على اعمال سيئة في فترة مبكرة من حياتهم، لم يهتم بهم او يرثي لحالهم الا عدد قليل من الناس ولم يتمكنوا من تحسين مستويات معيشتهم فليس امامهم سوى القبول بطريقة المعيشة الذليلة تلك.

فيما بعد اعاد غاندي تسمية هؤلاء الناس بـ(ابناء الله) وعمل جاهداً لمساعدتهم وكالعادة فعل ذلك بطريقته الخاصة، فقد أخذ طفلاً من ابناء المنبوذين وضمه الى عائلته. وقام علانية

بالأعمال التي كانت توكل اليهم، وعن ذلك يقول غاندي: «لا أحب ان اولد من جديد لكن اذا قدر لي ان اولد من جديد فإنني احب ان اكون من المنبوذين حتى اتمكن من مشاركتهم آلامهم».

لم يتحقق كل ما سبق ذكره مرة واحدة، ففي صغره أختير (موهنداس) من جهة عائلته ليتبع خطى والده في خدمة الولاية، وكي يحقق لهم هذه الأمنية كان لا بد له من الحصول على تعليم جيد، لكنه فشل تماماً في أول كلية أرسل اليها لذلك ارسلوه الى انجلترا ليدرس الحقوق، ولم يكن قد بلغ التاسعة عشر ومع ذلك فقد أصبح اباً. عندما وصل الى لندن بدأ الهندي الصغير يتصرف قدر استطاعته مثل أغنياء الانجليز، فكان يرتدي احدث موديلات الألبسة ويتعلم الرقص والموسيقى وينفق الكثير من المال، لكنه حافظ على العهد الذي قطعه لأمه قبل ان يغادر بلاده بألا يتذوق اللحم. لكن هذه المحاولة لكسب إعجاب الأجانب لم تدم طويلاً على اي حال فما ان نفذت نقوده حتى بدأ غاندي ينظر نظرة جدية الى الحياة الانجليزية، وتأثر تأثراً كبيراً بحياة وتعاليم المسيحيين وأعتبر مسيحياً، وقرأ في هذه الفترة بالانجليزية - ولأول مرة في حياته - كتاب (بهاجافاد جيتا) والذي بدا له انه يحتوي على الحقيقة اكثر من اي كتاب آخر، ودرس كذلك حياة الكثير من العظماء ورجال الدين أمثال النبي محمد وبوذا، كما بدأ في هذه الفترة يكون آراءه الخاصة ويستمد القوة والمعرفة من كل الأديان الا انه وجد انه من الطبيعي الوصول الى الله من خلال ايمانه بالهندوسية.

عاد المحامي الشاب الى موطنه بعد قضاء ثلاث سنوات في انجلترا ، وخلال الاحدى وعشرين سنة التالية عمل في جنوب افريقيا والتي كانت في ذلك الوقت ـ مثل الهند ـ تحت الحكم البريطاني. عاش في البداية حياة محامي ناجح ، الا ان الحياة بدأت تصعب امام الهنود في جنوب افريقيا ، فلم يكن بمقدورهم السفر بحرية في البلاد ولا انتخاب ممثليهم وقادتهم ، حاول غاندي مساعدة الهنود من خلال تبني قضاياهم في المحاكم ، اذ ان ايمانه بالنظام القضائي البريطاني كان كبيراً. مرت السنوات دون أي تحسن على وضع شعبه فبدأ غاندي بتجربة طرق جديدة لتحصيل حقوقهم ففي عام ١٩٠٤ اسس جريدته الأولى (الرأي الهندي) لتعليم وتوحيد الشعب وفي عام ١٩٠٧ قاد أول حركة كبيرة للخلاص من قانون غير عادل ، وشجع شعبه على عدم الخضوع للقانون لكن دون ايذاء أحد ، اذ كان عليهم مقاومة قوة السلاح بقوة الحقيقة دون كراهية او عنف ، وعليهم ان يكونوا مستعدين للموت لكن دون ان يقتلوا أحداً ، ومع ذلك فقد اعتقل الكثير منهم واودعوا السجون.

استمر الهنود بالتعبير عن مشاعرهم بهذه الطريقة باعداد تتزايد كل يوم ، وسرعان ما استطاعوا اثبات قوة الحركات السلمية ضد القوانين غير العادلة وسجن غاندي نفسه عدة مرات في هذه الفترة.

في عام ١٩١٤ عاد غاندي الى الهند تسبقه انباء ما فعل في جنوب افريقيا ، لقد كان غاندي هو ذلك القائد الذي تحتاجه الهند لتوحيد شعبها فهو لم يكن ينتمي فقط الى حزب او

جماعة دينية فكل الهنود اخوانه، ومع انه كان سجيناً في فترة الحرب الا انه دعم الحكومة فحاز بذلك على احترام الحكام الانجليز.

عندما اصبح غاندي في الخامسة والاربعين كان قد مضى عليه عدة سنوات تاركاً كل ما يتعلق بحياته الاسرية وحياته الخاصة في صراعه لمساعدة شعبه، واصبح زعيماً للمجلس الوطني الهندي والذي كان يهدف الى الحصول على الاستقلال التام من بريطانيا، ولتحقيق ذلك تجول في البلاد - غالباً - على الأقدام - وارتدى أبسط الثياب المصنوعة من القطن وكان يصنعها بيديه، ينزل في أفقر الأحياء من المدن والقرى وسرعان ما اصبح له الملايين من الاتباع ضمن الشعب، واصبحوا ينظرون له وكأنه رجل مقدس فقير مثلهم.

لم تستقل البلاد فبدأ غاندي يحث الناس على عصيان أوامر الحكومة كما فعلوا في جنوب افريقيا، فكان الموظفون البريطانيون يردون بقوة وغالباً ما كان غاندي يودع السجن.

في عام ١٩١٩ قاد غاندي الشعب في عصيان اسماه (عصيان الحب) ضد الحكومة فتوقف الملايين من الناس عن العمل، وكما هي العادة فقد حث غاندي اتباعه على تجنب العنف، لكن أعمال شغب تفجرت في بعض المدن نتيجة للغضب المتزايد وأخيراً صدرت الأوامر الى الجنود البريطانيين باطلاق النار على المتظاهرين العزل في مدينة (اميرستار) فقتل ٣٧٩ شخصاً وجرح الكثيرون مما سبب الحزن لغاندي فقد حذر الناس كي يستعدوا لمواجهة الموت وكان مما قاله: «قبل الفوز بأي حرب لا

بد من موت آلاف الجنود ، عدوكم هو اخوكم الغبي ، ساعدوه عندما يتأذى ، ولا تطيعوه اذا حاول ايذاءكم ففي النهاية ليس هناك عدو يبلغ من القوة بحيث يستطيع مقاومة نار الحب ، ستربحون معركتكم عندما تتمكنوا من القضاء على الحقد في قلوب أعدائكم ».

استقلت الهند أخيراً في عام ١٩٤٧ بعد نضال طويل ، وكان في وقت واحد ما يزيد على ثلاثة وعشرين الف شخص في السجن . وعندما جاء يوم الاستقلال شعر غاندي بقليل من السعادة والكثير من الحزن ، اذ ما كاد الهنود (الهندوس والمسلمين) يقهرون عدوهم المشترك حتى انقلبوا ضد بعضهم البعض . وحدث قتال عنيف مروع يثير الفزع في النفوس ، وفي النهاية لم يعد هناك بلد مستقل واحد انما بلدان متشاحنان هما الهند والباكستان وضاع حب الاخوة الذي حلم به غاندي .

كان غاندي يصلي دوماً لانهاء الحقد والغيرة بين الهندوس والمسلمين فقرر الا يأكل شيئاً حتى يتم التوصل الى اتفاق ما محتملاً الحزن والأسى والألم لكن حياته واعماله وصلت فجأة الى نهاية ، ففي أحد الايام الذي تأججت به المشاعر الدينية ، انبرى احد اتباع طائفته الدينية من الهندوس من بين الجموع الفقيرة واطلق عليه النار في معدته ، فسقط على ركبتيه وكأنه يصلي ، وتوفي على الفور .

كان قلبه يمتلىء بالأسى لأجل بلاده عندما مات ، لكن وكما سنرى فإن حلم الروح العظيمة (مهاتما غاندي) بتحقيق مجتمع مسالم عادل قد عاش في قلوب الرجال الذين جاءوا بعده .

حورية التعليم

ماريا مونتسوري

ماريا مونتسوري إحدى أعظم المعلمات في العالم.



... «احدى عجائب الطبيعة هي بالفعل قدرة حديثي الولادة والذين ليس لديهم أية خبرة في الحياة على تلمس طريقهم وحماية انفسهم من العالم الخارجي تقودهم غريزة ما في أوقات محددة». بهذه الكلمات عبرت (ماريا مونتسوري) عن الشعور بالتعجب الذي يصيبها وتحس به بصحبة الأطفال، فكل آرائها حول التعليم نمت من خلال احترامها للغريزة القوية التي تقود الأطفال ومن خلال تلك الفترات من حياة الطفل التي يكون فيها مستعداً للتعلم.

وقد اصبحنا اليوم معتادين على الفكرة التي تقول إن الأطفال الصغار يجب ان يملكوا الحرية، فأفضل المعلمين هم الذين يوفرون غرف الصف المريحة ويستمعون دائماً الى قصص الأطفال ويعطونهم الوقت الكافي للعب، ويتركون لهم حرية اختيار ما يريدون، هل يريدون رسم صورة مثلاً؟ ام اللعب بالرمل والماء او التظاهر بأنهم اصحاب محلات تجارية او اطباء وممرضات؟ انهم يعلمون أن الأطفال يتعلمون بشكل افضل عندما يكونوا مستمتعين بما يفعلونه ويتمتعون بدروسهم.

لكن كل هذا لم يكن موجوداً عندما كانت ماريا مونتسوري Maria Montessori صغيرة، فعندما زارت لأول مرة المدارس في موطنها ايطاليا وبلدان أوروبية أخرى وجدت ان الأطفال يجلسون على مقاعد داكنة اللون، ويرتدون السواد ويكتبون بحبر أسود فبدا لها الأمر وكأنه (جنازة)، فقالت في نفسها: «يجب أن يعيش الطفل في عالم من الجمال ويجب ان يكون لديه حرية في الحركة والتعبير عن آرائه الخاصة، ونجد ان اطفال

اليوم مدينون بالكثير مما تتحقق من مدارس ممتعة الى اعمال ماريا مونتسوري والآخرين الذين شعروا بمثل شعورها.

ولدت ماريا عام ١٨٧٠ في شمال ايطاليا، حيث كان والدها جندياً وكلا والديها متعلمان جيداً، وعندما لاحظا ان طفلتهما راغبة بتعلم شيء مثل العلوم والذي لم تكن مدارس الاناث تعلمه ارسلاها الى مدرسة للذكور في روما وبعدها انتقلت لدراسة الطب والأحياء في جامعة روما مخالفة بذلك رغبة والدها.

جعل الطلاب من الذكور هذا الأمر صعباً بالنسبة لهذه الفتاة الجميلة ذات العيون الداكنة، فقد كانوا يعتقدون انه من غير اللائق لإمرأة، ان تدرس الطب، وعندما كانوا يقومون بتشريح الجثث لدراستها كان على ماريا ان تقوم بذلك لوحدها وغالباً ما يكون هذا الأمر في وقت متأخر من الليل حيث يكون الرجال قد عادوا الى بيوتهم.

لكن وعلى الرغم من كل هذا فقد اصبحت طبيبة ومدرسة للطب برتبة (بروفسور) في نفس الجامعة. ذات يوم بينما كانت لا تزال طالبة ذهبت للتنزه في حديقة عامة فأوقفتها امرأة فقيرة تجر طفلة في الثانية من عمرها معها وطلبت منها نقوداً كانت حالة الطفلة مثيرة للشفقة فهي متسخة وشبه عارية، ملابسها رثة لكن ماريا لم تستطع ان تبعد ناظريها عنها لأنها بدت وكأنها ليست ضمن هذا العالم القاسي من حولها فقد كانت تنظر الى ورقة ملونة باهتمام شديد.

ساعدت رؤية هذه الطفلة الطالبة الصغيرة على فهم الطبيعة

الخاصة لعقل الطفل، فبدا لها الامر مختلفاً عن عقل البالغين، فهو اكثر روعة وينتظر الفرصة المناسبة ليتحرر ويتعلم ويتطور بطريقته الخاصة من اجل (حرية التعلم).

بدأت الطبيبة الصغيرة العمل مع الأطفال المتخلفين عقلياً، والذين يبدون وكأنهم غير قادرين على التعلم لأسباب عديدة، وجدت ان مثل هؤلاء الأطفال يوضعون في مستشفيات قديمة مع المجانين من الكبار ويعاملون بأسوأ مما يعامل به المرضى من الكبار وكأنهم حيوانات صغيرة، فليس لديهم ما يلعبون به ويقضون معظم يومهم يزحفون على الارض ويلهون بفتات الطعام الساقط تحت الموائد.

اهتمت الدكتورة مونتسوري بطريقة الأطفال في التقاط قطع الخبز، إذ لم يكن يبدو عليهم الجوع، كانت واثقة انهم يبحثون عن شيء يلمسونه ويمسكونه بأيديهم. فهم يريدون ان يلمسوا الاشياء ويختبرونها، لقد شاهدت ذلك، فإذا اراد الأطفال التعلم فيجب ان يملكوا اشياء يستطيعون لمسها واختبار حجمها وشكلها ووزنها والوانها، يجب ان يشعروا مما صنعت، ويجب ان يضعوا الأشياء مع بعضها البعض.

عندما بدأت بتعليم هؤلاء الأطفال قدمت لهم أشياء تساعدهم، اشياء يستطيعون الامساك بها بأيديهم، ويتعرفون عليها، علمتهم اشياء بسيطة مثل صب الماء والإمساك بالقلم وعلمتهم ان ينظفوا أنوفهم بالمناديل، فزادت ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على القيام بمثل هذه الاشياء. ثم علمتهم القراءة والكتابة ولم يكن الاطفال ينظرون الى الحروف فقط بل لمسوها

ايضاً فهي حروف مصنوعة من الخشب او الورق المقوى. شجعتهم على اكتشاف الحروف والأرقام وتكوين الجمل فسرعان ما بدأوا يقرأون ويجرون العمليات الحسابية وحدهم. وكانت المعلمة موجودة هناك لمساعدتهم في حل اية صعوبة تواجههم.

تعلم بعض هؤلاء (المتخلفين) الى درجة تؤهلهم لاجتياز امتحان الدولة الذي يتقدم له طلاب المدارس الآخرين، تم تشجيع الدكتورة مونتسوري على ما فعلته، وبدأت تتسائل اذا ما كانت طريقتها في التعليم ستنجح مع جميع الاطفال؟

في عام ١٩٠٧ أعطيت الفرصة لتطبيق افكارها على اطفال تتراوح اعمارهم بين الثالثة والسادسة وذوي قدرات متقاربة، ويعيشون في حي فقير جداً من احياء روما انتقلت عائلاتهم للعيش في بنايات حديثة افضل من بيوتهم السابقة، لكن هؤلاء الناس كانوا يعرفون القليل عن الصحة والنظافة كما ان الأطفال ليس لديهم مكان يذهبون اليه او اي شيء يفعلونه اثناء وجود ذويهم في العمل، فكانوا مزعجين ومشاغبين وهيئتهم قذرة، وكانوا يكسرون الأشياء دون اي سبب، لذلك قامت الحكومة بايجاد اماكن لهم وطلبت من الدكتورة مونتسوري ان تفعل ما باستطاعتها لأجلهم.

كان هناك ستون طفلاً في اول (بيت للأطفال) وكانت غرف هذا البيت ملونة وزاهية وتطل على حديقة حيث يستطيع الأطفال الزراعة والعناية بمزروعاتهم وكانت احجام الطاولات والمقاعد تتناسب وحجم الأطفال الصغار وكانت هناك صور ينظرون اليها. وزهور يتنشقون عبيرها. اتخذ الأطفال قراراتهم

الخاصة فيما يريدون عمله ، وعملوا بطريقتهم الخاصة ، فأصبحوا مشغولين هادئين وسعداء .

بحلول عام ١٩١٣ انتشرت اخبار هذا الذي يجري في هذه المدرسة بمنطقة (سان لورنزو) في كل انحاء العالم، فذهب المعلمون من دول مختلفة الى روما ليتعلموا وافتتحت عدد من مدارس (مونتسوري) في لندن وبدء بتدريس مساق خاص لتدريب المعلمين .

سافرت ماريا مونتسوري كثيراً في اوروبا وأمريكا والشرق البعيد ، وترك ابنها (ماريو) اعماله وتفرغ لمساعدتها ، كانت تعتقد ان التعليم الحقيقي الذي يناسب الاحتياجات الحقيقية للطفل سوف يخرّج كباراً عقلاء وسعداء وبالتالي ينتج عالماً مسالماً .

آلفت كتباً تحمل عناوين مختلفة مثل (سر الطفولة) و(التعليم لعالم جديد) وقد ترجمت بعض هذه الكتب الى لغات مختلفة .

عملت مدارس مونتسوري مع أطفال من جنسيات وطبقات واديان مختلفة وكانت النتائج مشجعة مع الأطفال من اعمار مختلفة سواء أكانوا سريعي ام بطيئي التعلم . قدّم المعلمون مواد جذابة ملفتة لنظر الأطفال وعلموهم كيفية استعمالها ثم بدا ان الاطفال يختارون لأنفسهم اعمالاً حسب ميولهم الداخلية ، ولم يكن الطلاب يجلسون بلا حراك ، بل كانوا يتحركون بحرية ، وما يتعلمونه يعتمد عليهم ، لكن الدكتورة مونتسوري كانت تعتقد ان

لكل طفل فترة معينة يكون فيها مستعداً لتعلم اشياء معينة ، ففي وقت من الأوقات قد تكون الأرقام ، وفي وقت آخر قد تكون اللغة المهم في الآمر ان يكون الطفل منقاداً لاحتياجاته الخاصة.

لقد كانت ماريا مونتسوري واحدة من اعظم المعلمين في العالم ، كما ان نظرتها الأصلية الى التعليم قد غيرت كل نظرتنا الى الطفولة . ففي اوروبا على الاقل ـ لطالما عومل الأطفال على انهم بالغون لكنهم ناقصون ، ضعفاء ، وبلا فائدة ، وكلما تصرفوا مثل البالغين كلما اسعد ذلك البالغين ، وغالباً ما كانوا يعاقبون لتصرفهم مثل الأطفال فكل ما هو طبيعي لطفل صغير يعتبر خطيئة. وجدت الذكتورة مونتسوري الطفولة شيئاً خاصاً ومشرقاً ، كأي وقت يكون فيه العقل والحواس متقدة واليوم يشاركها الكثير من الناس هذا الرأي.

غادرت ايطاليا بعد استلام موسيليني للسلطة وأنهت اعمالها هناك الا ان نشاطها لم ينته حتى نهاية حياتها ، فقد قضت السنوات الأخيرة من عمرها متنقلة تعلم مجموعات من المعلمين في كل انحاء العالم، وتوفيت في هولندا عن عمر يناهز الثانية والثمانين عاماً.

اتحفاءة للحياة

البرت شويتزر

البرت شويتزر طبيب ومفكر وموسيقي .



ذات صباح من عام ١٨٩٦ وفي بلد جبلي جميل في مدينة «إلساك» أفاق شاب من نومه مبكراً وظل مستلقياً في فراشه يفكر في مستقبله، كان في الواحدة والعشرين من العمر ويعلم جيداً انه يملك الصحة والقوة ويملك ذكاء خارقاً، فهل سيصبح قسيساً مثل ابيه؟ ام هل سيصبح معلماً حكيماً او كاتباً مشهوراً، او هل سيصبح عازفاً مشهوراً على الاورغ ومصمماً له؟ كل هذه الأشياء كانت خيارات ممكنة لهذا الطالب الجامعي والذي كان يدعى «البرت شويتزر». فقد كانت هناك اشياء كثيرة تستهويه مثل الموسيقى والدين وتاريخ الفكر الانساني، وكان كذلك يحب صنع الاشياء بيديه وكان عازفاً ماهراً على آلة الاورغ، لقد كان واثقاً ان بإمكانه النجاح في كل ما يقدم عليه.

لكنه مع كل ذلك رغب في تنفيذ ارادة الله، ومع انه هو نفسه قد حالفه الحظ ليكون سعيداً الا انه كان يعلم ان هنالك الملايين حياتهم تعيسة شقية في هذا العالم، فتمنى مخلصاً لو كان بإمكانه تحسين مستوى حياتهم. لقد درس البرت حياة السيد المسيح بعناية كبيرة ويعرف تماماً حكاية الرجل الغني الذي يلبس ملابساً ثمينة ويأكل طعاماً جيداً كل يوم، بينما يجلس الرجل الفقير (لازاروس) مريضاً وجائعاً على اعتاب بيته، أفلا يتوجب على الأمم الغنية في العالم دعوة الفقراء الى ولائمهم؟ ان المضيف الجيد لا يدعو اصدقاءه فقط، بل انه يعتني بالمحتاجين من الفقراء والمرضى والعميان ويشاركهم بما يملك.

سأل الشاب نفسه اذا كان باستطاعته القيام بمثل هذه التضحية، وهل بإمكانه التخلي عن الموسيقى والعلم وكل الاشياء

المبهجة في الحياة؟ وعلى ما يبدو فقد كانت الاجابة .ليس بعد، فقد قرر ان يعطي لنفسه تسع سنوات اي حتى يبلغ الثلاثين لتحقيق كل الأشياء التي طالما أراد القيام بها، وبعد ذلك سوف يسخر نفسه لخدمة الآخرين.

لم يعرف أحد بقرار «البرت شويتزر» في ذلك اليوم الا هو نفسه، فدرس بتركيز وألف الكتب وتعلم كيف يصنع آلات الاورغ التي تزود كنائس اوروبا بالموسيقى وتدرب على العزف عليها حتى اصبح موسيقياً جيداً، واصبح الكثيرون يأتون اليه لسماع عزفه، واصبح كاهناً للكنيسة ورئيساً للكلية ورجلاً ذا سمعة جيدة، اصبح في الثلاثين من العمر لكنه لم ينس قراره.

خلال هذه السنوات عمل بجد كبير ولم يذق طعم النوم الا قليلاً، وفي اغلب الأحيان لم يكن ينام ابداً، وفي احيان أخرى كان يتعرض لاغراءات بنسيان الفقراء في العالم، الا أن ضميره لم يكن ليدعه يفعل ذلك.

لقد كانت هناك صورة عالقة في ذهنه، ففي مدينة (كولمار) التي زارها عندما كان طفلاً نصب حجري يمثل جندياً فرنسياً، ويستلقي عند قدميه عبد اسود، فكان أن استقرت صورة العبد بوجهه القوي في قلب الغلام، واعتاد ان يخرج عن طريقه كي ينظر الى ذلك النصب، لقد اوحى له بالمعاناة غير الضرورية لأفريقيا السوداء، وفيما بعد قال ان ذلك النصب الحجري هو أول من اوحى له بفكرة العمل في افريقيا.

كان بإمكانه بالطبع الذهاب الى افريقيا في ذلك الوقت

مباشرة كمعلم او قسيس الا ان تلك الفترة ـ وبشكل اكبر من الآن ـ كانت تعج بالأمراض والأوبئة مع وجود عدد قليل جداً من الأطباء. لذلك فقد قرر البرت شويتزر ان يصبح طبيباً.

وعندما كان يبلغ اصدقاءه بذلك قال «بالنسبة لي يعني الدين ان تكون انساناً بكل معنى الكلمة، ان معنى حياتي ليس في المعرفة والفن لكن بكل بساطة في كوني انساناً والقيام بأشياء من وحي روح المسيح».

طلب اليه الكثيرون آن يترك ما عزم عليه حتى لا يضيع نفسه في مجاهل افريقيا، وأوصوه ان عليه تدريب آخرين للخدمة، فلم يتوقع أن يذهب هو بنفسه، فالأمر يبدو تضحية عظيمة لرجل يمتلك مثل مواهبه خصوصاً موهبته في الموسيقى، فهل يريد الناس في افريقيا حفلات موسيقية على الأورغ؟

كان شويتزر قد قرر، فهو رجل لا يقبل النصيحة بسهولة، ففي عام ١٩٠٥ وعندما كان في الثلاثين من عمره عاد الى الجامعة كطالب في كلية الطب واستمر بنفس الوقت يعلم ويعظ وكان يقيم حفلات العزف على الأورغ يجمع المال اللازم لمسيرته في كلية الطب واستمر في الدراسة والكتابة.

كان هذا كثيراً بالنسبة لرجل واحد، فكان مرهقاً بصورة مفزعة اثناء تأديته لامتحاناته النهائية بعد ست سنوات، لكنه اصبح طبيباً في النهاية. في عام ١٩١٣ أبحر هو وزوجته هيلين الى افريقيا ومعهم كل ما يحتاجونه لانشاء مستشفى صغير.

كانت زوجته (هيلين) التي تزوجها قبل سنة من السفر تشاركه رغبته في العمل في افريقيا، ففي الوقت الذي كان هو فيه يتدرب ليصبح طبيباً تدربت هي لتصبح ممرضة وخططا معاً لفتح مستشفى في محطة جميعة باريس التبشيرية في منطقة (لامبارنس) على ضفاف نهر (اوجوا)، ولامبارنس هذه كانت في الغابون وكانت تحتلها فرنسا في ذلك الوقت.

لم يدعم الدكتور شويتزر في عمله هذا اي بعثة بل جمع التبرعات اللازمة لذلك بنفسه من خلال كتبه ومحاضراته وحفلاته الموسيقية، وهذه الامور كان من الممكن ان تجعل منه رجلاً غنياً لو انه بقي في اوروبا، ومع ذلك فقد كان دائماً يفتقر الى المال اللازم للقيام بأعماله.

قامت جمعية باريس التبشيرية بمنعه من الوعظ في منطقة (لامبارنس) مع ان آراءه كانت محترمة في كل انحاء العالم، لكن البعثة التبشيرية لم تكن متأكدة، ان تعاليم الطبيب كانت تعاليم مسيحية.

لم يثنه منعه من الوعظ عن عزمه، فقد جاء الى افريقيا ليعمل لا ليتحدث. وأراد ان يظهر القيمة العالية والكبيرة التي اولاها للحياة بعمله وطريقته الخاصة في الحياة.

كانت بعثته لمساعدة المرضى وانقاذ الحياة. وذات يوم وخلال رحلته الى أعالي نهر (اوجون) خطرت بباله الكلمات التالية (انحناءة للحياة) وهذه الكلمات تعبر اكثر من غيرها عن احترامه لقيمة وأهمية كل الكائنات الحية، الحيوانات والطيور

والاشجار والورود والانسان.

لم يكن الأمر ناجماً عن ضيق افق لدى بعض البعثات التبشيرية كي ترتاب بأفكاره فقد كان لهذه الافكار ارتباط وثيق بأديان الشرق التي درسها - واعتقد اننا جميعاً نتذكر مبادىء غاندي (الاهيماس) والتي تقضي باحترام كل اشكال الحياة - لقد كان شويتزر يشترك مع كثير من أهل الشرق بانحناءته للكائنات الحية، لذلك فإن الدكتور شويتزر وزوجته لم يبنيا مستشفاهما غير المكتمل على ضفاف نهر (اوجو) لتغيير اديان الناس او التدخل في عاداتهم، لقد ارادا العناية بصحتهم وسعادتهم.

قدم المرضى من اماكن قريبة وبعيدة لتلقي المساعدة من الطبيب الجديد في (لامبارنس) فقد كان ذا مظهر جذاب والابتسامة لا تفارق شفتيه، وكان الافارقة عادة ينامون على الارض لذلك فقد كانوا تواقين لتجربة الأسرة الخشبية في المستشفى، ففي بعض الاحيان كان الطبيب يجد المريض نائماً على الأرض بينما يستلقي اقرباؤه الذين جاءوا للعناية به على الاسرة، ومع قرب نهاية العام الأول كان هناك مستشفيان صغيران قد بنيا وخدما حوالي الفي مريض.

لكن الامور لم تجر على ما يرام ففي عام ١٩١٤ بدأت الحرب بين فرنسا والمانيا (الحرب العالمية) وتأثرت افريقيا بآثارها، كانت عائلة الدكتور شويتزر قد قدمت من منطقة (الساك) وهي منطقة تتبع في بعض الاحيان فرنسا واحياناً أخرى تتبع المانيا وفي تلك الفترة كانت تتبع المانيا، لذلك فقد اعتبرت عائلة

الدكتور (شويتزر) المانية بينما كانت الغابون فرنسية فأصبح الطبيب وزوجته سجناء حرب في مستشفاهم ، وقرب انتهاء الحرب تم نقلهم الى معسكر للاعتقال في فرنسا تاركين (لامبارنس) دون طبيب.

مضت سبع سنوات قبل ان يتمكن الدكتور شويتزر من العودة الى افريقيا ، وخلال وجوده في اوروبا جمع اموالاً لدفع ديون المستشفى من خلال تأليف الكتب وغيرها ، وعندما تمكن اخيراً من العودة الى (لامبارنس) عام ١٩٢٤ وجد ان المستشفى قد اصابه الخراب اثناء غيابه ، فبدأ على الفور باصلاحه وكان يقوم هو بنفسه بمعظم العمل اللازم فكان يعمل طبيباً في الصباح وبعد الظهر بناءً. ثم امحلت الدنيا فانتشرت المجاعة بين الناس وتبعها انتشار للمرض ، ومع ان مزيداً من الأطباء والممرضات قدموا الى المستشفى الا انه لم يعد يتسع فكان من الواضح انه لا بد من الانتقال.

كان ملك الشمس الافريقي قد اتخذ له قصراً ـ يبعد عدة اميال أعلى النهر وهذا هو المكان الذي اختاره الدكتور ليبني فيه مستشفى واسعاً جديداً وبمساحة تتسع لعدد كبير من المرضى. وكان هناك ايضاً حظائر للحيوانات المتعددة التي جمعها الدكتور ، فالافارقة يعلمون تماماً ان الدكتور سيمنح مكافآت مقابل الحيوانات بدل تركها لتموت ، فقد كان يحسب كل الكائنات الحية بما فيها الحيوانات المتوحشة والأفاعي وحتى الحشرات الضارة ، فهو لا يقتلها اذا كان باستطاعته ان يساعدها .

وأحب كذلك النباتات والاشجار فاحاطها بعنايته حتى ان المزارع والحدائق المحيطة بالمستشفى كانت تلقى عناية فائقة، وبما ان المحاصيل الزراعية مهمة لصحة البشر الا ان الورود كانت مخلوقات حية ايضاً فلا يقطعها كي يزين بها المنزل.

وأينما يتواجد الدكتور كانت تتواجد الكلاب والقطط والكثير من المخلوقات الغريبة ايضاً، ذات مرة أنقذ الطبيب حياة ثلاثة من صغار البجع وبنى لها بيتاً واطعمها بيديه بل وعلمها كيف تلتقط طعامها، فبقيت احدى هذه البجعات في (لامبارنس) بعد ان غادرت الآخريات، وكانت تحرس الدرج المؤدي الى غرفة الطبيب ليلاً وتصدر صوتاً مزعجاً اذا ما حاول غريب الدخول، وفيما بعد اصبح السيد (بجع) شخصية معروفة في المستشفى وفي القرية.

عندما كان المستشفى يحتاج اموالاً او مساعدين بين الحين والآخر كان الدكتور شويتزر يعود إلى اوروبا فيحيي الحفلات الموسيقية ويعطي المحاضرات في مواضيع مختلفة وعلى الرغم من عمله الشاق طبيباً وبناء. فما زال يكتب الكتب في اوقات متأخرة من الليل على ضوء مصباح زيت ـ لقد كان مفكراً كبيراً.

في عام ١٩٣٩ اصبح من المؤكد ان حرباً عالمية ثانية سوف تقع فقطع شويتزر زيارة كان يقوم بها لزوجته وحفيدته في اوروبا وعاد ليقضي سنوات الحرب في منطقة (لامبارنس) في ظل ظروف صعبة، وبعيد انتهاء الحرب كان غالباً ما يتحدث عن الأسباب الموجبة للسلام. ومنذ ذلك الحين وحتى وفاته عام ١٩٦٥ قدمت له العديد من الجوائز والأوسمة من دول عديدة

كانت اعظمها جائزة نوبل للسلام التي ظفر بها عام ١٩٥٢ وقد ساعدته نقود الجائزة على بناء مستشفى للمرضى المصابين بالجذام، توفي وهو ما يزال يعمل في لامبارنس عن عمر يناهز التسعين عاماً، وقبره ما زال هناك.

ترى هل كان هذا الرجل العظيم آسفاً لتركه بلده ومحاربة المرض والتخلف في افريقيا؟ هل كان الأمر يستحق التضحية لتقديم مثال على المحبة والاخوة؟ بالتأكيد لقد اعتقد البرت شويتزر ان الامر يستحق ذلك، وكتب مرة يقول «السعادة الحقيقية، هي ان تعمل في هذا العالم ولا ترجو من عملك او من الناس شيئاً ولا حتى ان يشار اليك بالبنان». وكتب مرة أخرى يقول: «انا لست الا شخصاً يقوم بما هو امر طبيعي، والأمر الطبيعي هو تقديم المعروف».

أعظم رسام في العالم

بابلو بيكاسو رويز

بيكاسو في التسعين من العمر.



ولد بابلو بيكاسو رويز عام ١٨٨١، ولكن لماذا نسميه اصغر رسام في العالم؟

عندما توفي عام ١٩٧٣ كان في الحادية والتسعين من العمر لكنه كان ما يزال يأخذ الوانه وفرشاته ليبدأ برسم لوحة جديدة وكأنه يرى الاشياء لأول مرة. وهذا هو السبب الذي دعانا الى تسميته بأصغر رسام. يحاول الصغار تجربة اشياء جديدة وطرقاً جديدة ولا يترددون في محاولة أمر ما تلو الآخر، فهم يتوقون الى التجربة ويرحبون بالأفكار الجديدة، وهم لا يهدأون تملؤهم الحياة ولا يقنعون، ويبحثون عن الكمال. أما كبار السن فهم غالباً ما يخشون التغيير، فهم يعرفون افضل ما يمكنهم عمله وهم يفضلون ان يعيدوا نجاحاتهم بدل ان يخاطروا بالفشل، وجدوا مستواهم في الحياة ولا يريدون ان يغادروه، اذن فنحن نعلم تماماً ماذا نتوقع منهم. عندما تجاوز التسعين من العمر كان هذا الرسام الاسباني العظيم يعيش حياته مثل شاب صغير فكان شغوفاً بالأفكار الجديدة وبالطرق الجديدة لاستعمال ادواته الفنية، فلم يعرف أحد ماذا يمكن ان يبدر منه ولا يمكن لاحد ان يكون متأكداً أي لوحة سوف يرسم فاذا ما رسم لك لوحة فلربما تبدو مثلك تماماً، وقد تبدو كلها خطوط ومربعات ودوائر وذات الوان غريبة وربما لا تبدو على شكل انسان اطلاقاً.

في بعض الأحيان تنقسم رسومات بيكاسو الى قسمين رئيسيين، ففي بعض الاحيان تكون العيون والأنف في اماكن غريبة وفي أحيان أخرى تبدو وكأنها غير منتظمة الشكل او مكسورة والالوان هائجة وغريبة. وعنوان اللوحة يقول لنا انه شخص لكنه قد يبدو مثل آلة. في تلك الاوقات كان بيكاسو يرسم

ما يراه بعقله لا مثلما يراه بعيونه. وهو يرسم جانب الوجه مثلما يرسم مقدمته، وهو يرسم الجسد العاري وعليه ملابسه في آن معاً، وربما يرسمه مسطحاً بلا عمق. وفي بعض الاحيان يبدو انه يرسم مثل رسومات الاطفال. فقط من اجل متعته الذاتية، فهو لم يقلد الآخرين. «إذا كانت المواضيع التي اريد التعبير عنها تتطلب طرقاً مختلفة من التعبير فلا أتردد في استعمالها» حسبما يقول، وبكلمات أخرى فانه يرسم لوحاته بأي طريقة تبدو مناسبة له دون الالتفات الى آراء الآخرين. يكتشف معظم الرسامين اسلوباً في الرسم يناسبهم ويتمسكون به، خصوصاً إذا ما اعجب الناس بلوحاتهم، ومع تقدم الرسام بالعمر قد تتغير لوحاته بعض الشيء، الا ان بيكاسو كان مثل رجل لم يجد اسلوبه في الرسم بعد، فكان ما يزال يكافح لايجاد تعبير مناسب (كامل) لروحه القلقة.

ان اول ما يلاحظه الناظر اليه هو تلك النظرة الواسعة لعينيه المفتوحة على اتساعها وقد ذكرت جيرترود ستين ـ وهي كاتبة امريكية مشهورة عرفته في شبابه ـ تلك النظرة الجائعة والتي نستطيع ان نراها في صورة اليوم، وكان بيكاسو قد رسم لها لوحة عام ١٩٠٦ ولها حكاية ممتعة حسبما تقوله جيرترود ستين، فقد زارت مرسمه ثمانين او تسعين مرة اثناء رسمه لصورة لها، واثناء الرسم كان بيكاسو وهي يتجاذبان اطراف الحديث حول كل شيء في العالم يستهويهما، وذات يوم شطب بيكاسو رأس اللوحة والذي كان قد عمل وقتاً طويلاً لانجازه قائلاً: «عندما انظر اليك لا يعود باستطاعتي رؤيتك». بعدها غاب بيكاسو في اجازة الصيف وعندما عاد ذهب مباشرة الى

اللوحة غير المكتملة في زاوية مرسمه وأكمل رسم الرأس من الذاكرة، لقدكان باستطاعته رؤية وجه المرأة بشكل واضح في ذهنه اكثر مما شاهده وهي تجلس امامه في مرسمه.

عندما شكا له الناس من ان رسمه للآنسة ستين لا يشبهها اجاب بيكاسو قائلاً: «من المؤسف حقاً انه يتوجب عليها ان ترتب امورها بحيث تشبه هي اللوحة».

لكن بعد مضي ثلاثين عاماً قالت جيرترود ستين ان رسم بيكاسو لها كان هو الصورة الوحيدة التي اظهرتها كما هي على حقيقتها.

ولد بيكاسو في مدينة (ملغا) باسبانيا وهي مدينة وادعة هادئة، كان والده رساماً ومدرساً للفنون وهو الذي اعطاه اول درس في الرسم. لم يفلح بابلو الصغير في المدرسة فقد كان كسولاً ولا يلتفت الى ما يقوله معلموه، ورفض تقبل الانتقاد من احد، فقد كان واثقاً من نفسه منذ البداية، وسرعان ما تبين ان الغلام فنان ويستحق الحصول على افضل تدريب على الرسم يمكنه الحصول عليه، ذلك ان رسوماته الاولية لم تكن لتبدو مثل رسومات طفل صغير.

لم يكن هناك من شك بأنه سينجح في حياته، واذا كان هناك من ولد ليكون رساماً فإنه بلا شك بيكاسو، فاز بجائزة عن اول لوحة مهمة له بعنوان (العلم والاحسان)، عندما كان في الخامسة عشر. درس الفن في عدة مدن اسبانية، لكن لم يكن هناك من يعلمه كل ما يريد معرفته، وعندما كان في التاسعة

عشر زار باريس.

في ذلك الوقت كانت باريس مركزاً عالمياً للفنانين، فمعظم الرسامين سيذهبون اليها عاجلاً ام آجلاً للتعلم والدراسة ومشاهدة اللوحات وعقد الصداقات مع الرسامين الآخرين، فكل ما هو جديد ومثير في عالم الرسم كان يبدو انه يحدث هناك، وعندما بلغ الثالثة والعشرين عاد الى باريس وعاش في فرنسا بقية حياته. كان عندها قداصبح رساماً جيداً، فرسم مشاهد من حياة البلدة ورسم الناس في الشوارع والمطاعم وفي سباقات الخيول ومصارعة الثيران والسيرك وكانت لوحاته مرسومة بألوان زاهية جذابة للناظرين.

لكن الحياة لم تكن سهلة لرسام مغمور، بدأ الصراع يظهر في اختيار جديد للمواضيع، فلعدة سنوات رسم اناس من افقر احياء المدينة، رسم رجالاً ونساءً ضعفاء جائعين ومتعبين ومرضى وعمياناً، فأصبحت الوانه قاتمة ورسمت معظم هذه اللوحات باللون الازرق وظلاله واظهرت بوضوح ما شاهده الفنان واحس به، فجاءت لوحاته في (الحقبة الزرقاء) مليئة بالشفقة واليأس.

لم ينتظر بيكاسو طويلاً كي ينجح، فما ان بدأ ببيع لوحاته وتقديم نفسه كرسام حتى بدأت لوحاته تحظى بالاعجاب، وفي نفس الوقت بدأ يرسم بحرية اكبر واستقلال تام، وبدأ برؤية الناس والاماكن بأشكال بسيطة وسرعان ما حاول ان يجعل لوحاته قريبة من الحياة.

بدت النتائج في البداية غريبة وغير حقيقية، فاللوحات كانت

عصية على الفهم. اذ انه رسم الرؤوس البشرية، ومناظر من الطبيعة او مواضيع اخرى معروفة، كلها بنفس الطريقة كما لو ان شكلها هو الشيء الوحيد المهم فيها ـ وهذا الاسلوب في الرسم ـ والذي انتقل الى العديد من الرسامين فيما بعد عرف ـ بالتكعيبية ـ من شكل المكعب.

هوجم بيكاسو لهذا الاسلوب الجديد والمخيف في بعض الاحيان، فهو يرسم لوحات مثل بعض اسوأ احلامنا، في هذا القرن جعلت الكاميرا من غير الضروري رسم الاشياء كما هي بالضبط، لأن الكاميرا تستطيع ان تعكس الحياة بدقة اكبر، لكن ما تعطيه لنا اللوحات العظيمة هو نظرة الى الحياة من خلال عيني رجل واحد ولكل انسان نظرة تختلف عن غيره.

بعض لوحات بيكاسو غنية وهادئة الألوان وجميلة، وبعضها الآخر بشع غليظ وغريب به خطوط سوداء حادة، لكن مثل هذه الرسومات تجعلنا نتخيل الاشياء لأنفسنا، فهي تستطيع ان تجعل نظرتنا الى العالم اكثر حدة لأنها تجبرنا على ان نقول لانفسنا «إن ما يراه هو الذي يجعله يرسم بهذه الطريقة»؟ ونبدأ بالبحث بما تحت سطح الشيء الذي نراه.

رسم بيكاسو آلاف اللوحات وبالعديد من الأساليب المختلفة، في بعض الأحيان يرسم بالنظرة الطبيعية للاشياء، وفي بعض الاحيان يبدو أنه يجزئها الى اجزاء ويرميها في وجوهنا، لقد طالب بحقه في ان يرينا ما يعرفه العقل وما تراه العين، وقد بقي هو نفسه فضولياً تجاه العالم كما كان عندما كان صغيراً. لعبت الطيور والاماكن والاشياء الطبيعية الأخرى دوراً في

رسومات بيكاسو، لكن في كثير من الاحيان عندما نفكر به نفكر بالطريقة التي رسم بها الوجه البشري والذي هو جميل وغريب وقد كتبت جيرترود ستين تقول «الرأس والوجه البشري والجسد هي كل ما هو موجود بالنسبة لبيكاسو، أما أرواح البشر فلا تهمه لأن حقيقة الحياة في الرأس والوجه والجسد».

وهذه دعوة منا لكل من يحب الاطلاع على لوحات بيكاسو ليفعل وليقارنه بغيره من الرسامين.

ملك الكوميديا

شارلي شابلن

شارلي شابلن في فيلم الغلام (١٩٢٠).



في نحو عام ١٩٠٠ كان هناك غلام صغير داكن الشعر يدعى تشارلز شابلن غالباً ما يشاهد وهو ينتظر خارج المدخل الخلفي لمسرح لندن، كان يبدو نحيلا وجائعاً الا ان عينيه الزرقاوين مليئة بالتصميم فهو يأمل ان يعمل في العروض المسرحية اذ ان باستطاعته الغناء والرقص. كان ابواه من فناني القاعات الموسيقية اي انه ولد في الحياة المسرحية، وعلى الرغم من ان فترة صباه كانت مؤلمة وصعبة الا انه كان يعرف كيف يُضحك الآخرين. كانت ملابسه فضفاضة رثة. وبما انه كان من المتعذر ايجاد العمل دائماً فقد تنقل لمدة مع فرقة للغناء والرقص تسمى (صبية لانكشاير الثمانية)، ولعب معهم دور الكلب.

كان الصبية اعضاء هذه الفرقة ينامون سوياً كل ليلة في نزل مختلف ومدينة مختلفة، يفتقدون امهاتهم، واثناء نومهم تتناهى الى اسماعهم اصوات مشاجرات السكارى في الشوارع.

توفي والده من كثرة الشرب ولم تكن امه قادرة على رعاية تشارلز واخته التي تكبره قليلاً والتي كانت مريضة بعقلها ويتوجب ارسالها الى المستشفى، وحتى عندما كانت تعيش معهم كان يبدو انها تعيش في عالم آخر، فجعل مرضها الغلام حزيناً جداً.

عندما لم يكن تشارلز يتمكن من الحصول على عمل كان يتسكع في شوارع المدينة يبحث عن الطعام والمأوى اينما توفرا، وفي بعض الاحيان كان يرسل الى بيت للأطفال المشردين حيث كان يعاني هناك من البرد والبؤس والتوبيخ والعقاب لأتفه الاسباب.

بعد ثلاثين عاماً كان تشارلز شابلن هذا يتقبل ضيافة الملك، غنياً وناجحاً ومشهوراً ومضيفوه هم مشاهير العالم من امم مختلفة، والكل يريدون مقابلته وتظهره الصور بصحبة رجال من امثال تشرتشل، اينشتاين، وغاندي، واصبح شخصية ملكية في عالم السينما الجديد المشرق ـ شارلي شابلن، ملك الكوميديا.

كتب مرة يقول: «يجب ان تثق بنفسك، هذا هو السر، حتى عندما كنت في بيت الاطفال او اجوب الشوارع بحثاً عما يسد الرمق من طعام، حتى في تلك الاوقات، فكرت بنفسي كأعظم ممثل في العالم».

فلولا الثقة بالنفس كما يقول لكان قد سقط في مهاوي اليأس والقنوط.

ان اي زائر منتظم لدور السينما لا بد وأن يكون قد شاهد بعض افلام شارلي شابلن فقد كان الناس في كل مكان يجلسون لمشاهدته حتى تدمع عيونهم من كثرة الضحك. فمنذ ظهوره لاول وهلة يعرفون ماذا يتوقع من هذا الرجل الصغير الوديع ذي الشارب الاسود المتيبس والعيون المفتوحة على وسعها، والقبعة السوداء المستديرة، والحذاء الواسع، اذ انه ينتقل من حادث مضحك الى آخر، فهو يسير بصعوبة عبر الثلوج ويتزحلق على الجليد، ويسقط من النوافذ وينزلق عن الجسور، يقاتل رجلاً بضعف حجمه ويقع بحب نساء بالكاد يلاحظن وجوده. شخصيات قوية وغنية وأكثر شجاعة منه تهينه وتأخذه بعيداً، لكنه بطريقة ما سوف يقاتل ليعود من جديد ويقف على قدميه مرة اخرى ويتغلب على قلبه المجروح ويعود كما كان.

ان شخصية (الصعلوك؛الصغير) والتي مثلها شابلن في مئات الافلام هي شخصية يتمكن الجميع من فهمها، الرجل الفقير الذي يقع بكل انواع الاخطاء الغبية، فهو دائماً في المشاكل ومع ذلك يحلم بالعظمة. يضحكنا بمحاولاته المجنونة لتفادي قدرة القاسي فيجد طرقاً مدهشة للخروج من كل مأزق ولا تستطيع الحياة قهره. ان هذا الصعلوك الصغير لا يختلف كثيراً عن ذلك الغلام المشرد الذي يشعر بالبرد وبالكاد يرتدي ما يستر عورته ويرفض اليأس، مثل الطفل فهو ضعيف، خائف أحمق لكنه لا يستسلم ابداً.

يستطيع كل الناس حتى الذين لا يعرفون الانجليزية فهم افلام شابلن لأن معظمها من النوع الصامت. وليس ما يضحكنا هو ما يقوله، اذ ان الكوميديا التي يمثلها لا تعتمد على الكلمات او اللغة بل تعتمد على قليل من الحركة التي تعني نفس الشيء للناس في كل انحاء العالم. فالتمثيل الصامت لأوضاع انسانية معروفة يلعب دوراً هاماً في رقصات ومسرحيات الكثير من الشعوب فهي نوع من اللغة العالمية.

يرفع شابلن حاجبيه الاسودين او يراقص عينيه ويصلح من معطفه او يلوّح بعصاه في الهواء، يداري نفسه خلف سيدة سمينة او يختبىء تحت طاولة ليهرب من اعدائه، يحاول ان يكون شجاعاً فيسقط ارضاً مغمى عليه، ينفض الغبار عن اسماله ليعطي عن نفسه انطباعاًفخوراً في بعض المناسبات الاجتماعية، يتظاهر بما ليس فيه، ولا يمكن له ان يكون في يوم من الايام غنياً وناجحاً ورجلاً مهماً، ولآن هذا مستحيل ولا امل فيه

فيجعلنا نضحك وهذا هو سر نجاح شابلن الكبير.

اكتشف شخصية (الصعلوك الصغير) بالصدفة فمثل كل الشباب سافر هو واخوه الى امريكا ضمن فرقة صغيرة من الممثلين، ومثلوا في مدن مختلفة، وذات يوم دعي تشارلز لينضم الى فرقة صغيرة تمثل افلاماً كوميدية، فقبل العرض وسرعان ما اصبح معروفاً.

وبعد فترة وجيزة كان قد مثل العديد من الافلام القصيرة لهذه الفرقة. وفي الفيلم الثاني الذي مثله ارتدى تلك الملابس التي جعلت له الشهرة، قبعة سوداء ومعطف ضيق وسراويل واسعة وحذاء ضخم وشارب وعصا.

لقد قصد بكل بساطة ان يضحك الناس لكن تنكره الغريب جعله يبدو مضحكاً وحزيناً، وفي الافلام التي تلت ذلك الفيلم، استمرت شخصية الصعلوك الصغير في النمو من خلال الملابس التي قرر ان يرتديها.

لاقى مظهره نجاحاً كبيراً منذ البداية، لكن افلامه الاولى لم تكن بها قصة، فقد كانت مليئة بالاحداث، فهذا الرجل الصغير يلعب ادواراً سريعة الحركة في الاختباء والظهور امام اعدائه، يسابقهم في شوارع المدينة، يقفز على القطارات ويسبح في الانهار، او انه كان يقصد اشياء مستحيلة، يظهر احد الافلام شابلن صغير الحجم يحاول ان ينشل سيدة ضخمة سمينة وهما يتزلجان على زلاجة بعجلات، فكان منظر شابلن وهما يسقطان المرة تلو المرة يثير الضحك ويجعل الواحد منا يكاد ينفجر من الضحك.

عندما بلغ الثلاثين كان شابلن أعظم وأشهر كوميدي في العالم ومحبوباً جداً. وأصبح يتقاضى آلاف الدولارات نظير كل فيلم يمثله فأسس شركته الخاصة لانتاج الأفلام وكان يكتب وينتج أفلامه الخاصة، وأينما ذهب كانت الجماهير ترحب به، وعمل بجد واجتهاد وكان له القليل من الأصدقاء المقربين.

وربما يكون سبب بروز الجانب الحزين (للصعلوك الصغير) واضحاً في الافلام التي انتجها، فهذا الرجل الصغير اصبح يريد ما هو اكثر من الطعام وسقف فوق رأسه، لقد اصبح يريد الحب.

في احد افلامه الشهيرة (حمى الذهب) تخادع فتاة هذا الرجل الصغير ثم تبدأ ترثي لحاله وتعامله بلطف، فيتناسى ما فعلته لأجل الحب. اما الفتاة في (اضواء المدينة) فهي عمياء ولأنها لا تستطيع ان تراه فهي تظنه اروع رجل قابلته في حياتها ومن ثم تستعيد بصرها لتكتشف كم هو شخصية ساذجة. لقد اعطى هذا الحزن افلام شابلن عمقاً في التجربة الانسانية لا يستطيع الا عدد قليل جداً من ممثلي الكوميديا ان يأتوا بمثله.

تزوج شابلن عدة مرات لكنه وعلى الرغم من كونه غنياً ومشهوراً وصاحب احلام كبيرة الا انه كان يشيخ قبل ان يشبع رغبته في الحب، ثم تزوج (اونا) حفيدة الكاتب الامريكي (يوجين اونيل) ودام هذا الزواج.

ضاق ذرعاً بأمريكا حيث عاش هناك لمدة اربعين عاماً واصبح خلالها رجلاً عظيماً فانتقل مع زوجته وعائلتهما الكبيرة الى سويسرا، وكان يصف نفسه بأنه مواطن عالمي ولا ينتمي الى بلد محدد صورت معظم افلامه المشهورة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٠

إبان السينما الصامتة، لكن بالنسبة للعديدين في معظم انحاء العالم، كان شارلي شابلن ما يزال ملك الكوميديا.

في اواخر سني حياته الطويلة عاد الى الولايات المتحدة والى بريطانيا ليتلقى الجوائز والأوسمة على اعماله في السينما، توفي في سويسرا عام ١٩٧٧ في يوم عيدالميلاد عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، حيث عم الحزن العالم بأسره لموته.

عجوز افريقيا!

جومو كينياتا

جوموكينياتا ، أول زعيم لكينيا المستقلة .



«ليس هنالك مجتمع من الملائكة سواء أكان مجتمعاً أبيض أو بنياً أو أسود، كلنا بشر فمن المؤكد أننا نخطيء، إذا ما أخطأت بحقك فالأمر عائد لك لتسامحني وإذا ما أخطأت بحقي فالأمر لي لأسامحك. لا يستطيع الأفريقيون أن يقولوا أن الاوروبيين قد قاموا بكل الأخطاء، ولا يستطيع الأوروبيون أن يقولوا أن الافريقيين قد قاموا بكل الأخطاء، لديكم ما تنسوه كما لدي، والعديد منكم مثل كينيا ومثلي».

لم يكن قد مضى على جومو كينياتا غير بضعة أيام كرئيس لوزراء كينيا عندما ألقى هذه الكلمات على حشد من المستوطنين البيض في منطقة كانت تسمى (مرتفعات كينيا البيضاء).

لقد كانت مناسبة غريبة وهامة، فالعديد من الناس الذين يستمعون كانوا يكرهون جوموكينياتا وكأنه الشيطان بثياب إنسان، لقد اعتقدوا بأنه عدو لكل البيض في كينيا وأنه سوف يخرجهم من البلاد ويعيدهم إلى حيث ولد معظمهم، لم يفهموا الطبيعة السمحة لهذا العجوز الافريقي.

كانت لديهم أسباب جيدة تجعلهم لا يثقون به، فقد كان (كينياتا) سجيناً قرابة تسع سنوات إذ اعتقل وأودع السجن من قبل الحكومة الاستعمارية البريطانية في كينيا.

ولم تكن فترات حريته طويلة، لذلك فلن يكون أمراً مدهشاً إذا ما لام المستوطنين البيض لهذا الأمر. فهل يعتبرهم كينيين مثله؟ وهل كان مستعداً ليغفر ويسامح؟ ثم سمعوه يقول «دعوني أقول لكم، ليست لدى جومو كينياتا، أية نية في الرجوع

إلى الماضي ، سوف ننسى الماضي ونتطلع إلى المستقبل ، لقد سجنت وعانيت من الاعتقال ولكن ذلك انتهى ولن أتذكره دعونا نضم أيدينا معاً ونعمل من أجل كينيا وليس من أجل جزء معين منها ».

حتى ألد أعداء الاستقلال الافريقي كان لابد له من الإعجاب بالقائد الجديد لكينيا في ذلك اليوم ، والحشد الهائل من الناس الذين لم يريدوا القدوم لسماعه صفقوا له ورحبوا به بحرارة ، لقد أظهر المحارب القديم من أجل حقوق الأفارقة أنه ينوي أن يكون قائداً لكل الناس ، وليس فقط لعرق أو قبيلة معينة ، لقد كان مصمماً على توحيد الأمة.

في السبعين من العمر كان جومو كينياتا قد أصبح عجوزاً إبان توليه رئاسة الوزراء لكنه كان حكيماً ولا يخشى التغيير ، وقد أدهشت قوته وصلابته ـ عندما أصبح أعلى سلطة في البلاد ـ أصدقاءه القدامى ، وفي اللقاءات مع السياسيين وكبار الموظفين وفي الخطابات مثل الذي ذكرناه آنفاً بدأ بإصلاح الخلل الذي خلفته سنوات الصراع على الأطراف المتصارعة.

يبلغ تعداد سكان كينيا حوالي تسعة ملايين ونصف نسمة ، أكثر من تسعة ملايين منهم أفارقة غالبيتهم مزارعين صغار ، وهناك عدد كبير من الآسيويين يتركز معظمهم في التجارة والوظائف الحكومية وهناك عدد أقل من الأوروبيين ، لكن الأوروبيين كانوا يملكون لفترة طويلة معظم أفضل مزارع البلاد يتحكمون بجزء كبير من ثروة البلاد ، وكان لهم لفترة طويلة الصوت الحقيقي الوحيد في حكومتها .

ينقسم الشعب الافريقي الى عدد من القبائل التي تختلف في عاداتها ومظهرها وطرق معيشتها، أكبر هذه المجموعات هي (الكيكويو)، وهم من أهل الغابات الذين تقع أراضيهم جنوب جبل (كينيا)، وعندما احتل المزارعون الأوروبيون الأراضي الواسعة. ابتنت البعثات التبشيرية المسيحية مدارس بينهم وعلمت الكثير من أبناء (الكيكويو) نوعاً أوروبياً من التعليم ولهذا السبب كان (الكيكويو) متقدمين سياسياً على القبائل الأخرى.

في وقت مبكر مثل عام ١٩٢٠ عندما كان معظم الأفارقة في كينيا يهتمون فقط بعائلاتهم وقراهم وجني محاصيلهم، كان شباب (الكيكويو) يشكلون جماعة سياسية تسمى (جمعية كينيا المركزية)، وتهدف إلى استعادة حقوق (الكيكويو) على الأراضي الأوروبية ورفع أجور العمال من (الكيكويو)، وبدأوا أيضاً بإنشاء مدارس لهم مستقلة عن مدارس البعثات الكنسية لأن البعثات التبشيرية حاولت أن تبعد أبناءهم عن كثير من عاداتهم القبلية القديمة. فما كان من هؤلاء الشباب إلا أن أصروا أن هذه العادات تشكل جزءاً مهماً من حياتهم الأسرية والاجتماعية وطالبوا بحقهم في انتخاب أفارقة لعضوية المجلس التشريعي الذي يحكم كينيا. عندها كان (جومو كينياتا) شاباً في حوالي الخامسة والثلاثين وسكرتيراً لهذه المجموعة وأصدر أول صحيفة كينية أفريقية.

تعلم (كينياتا) في البعثات التبشيرية ثم عمل في مكتب في مدينة نيروبي، وفي عام ١٩٢٨ زار بريطانيا لأجل جمعية كينيا المركزية، وفي عام ١٩٣٢ غادر كينيا مرة أخرى ليتجول في

أوروبا قبل أن يستقر في بريطانيا ، حيث بقي هناك أربعة عشر عاماً .

وعلى الرغم من أنه تزوج عدة زوجات في كينيا حسب عادات قبيلته إلا أنه عاد وتزوج من معلمة مدرسة انجليزية أثناء وجوده في بريطانيا ، وعقد صداقات مع الانجليز من مختلف الأجناس والطبقات ، ودرس في كلية لندن للاقتصاد . وربما يكون هذا هو السبب الذي جعله وهو سجين يتفهم البيض بشكل لا يشاركه فيه إلا القليل من الأفارقة . في عام ١٩٣٨ ظهر كتابه (مواجهة جبل كينيا) وكان في ذلك الوقت من غير المعتاد أن تدرس القبائل الافريقية وعاداتها من قبل أحد أبنائها .

قدم كينياتا كتابه الى الشباب الافريقي لجعلهم على صلة دائمة بروح روح ماضيهم الافريقي «من خلال النضال لأجل حرية افريقيا ، والايمان الراسخ بأن الموتى والأحياء والذين لم يولدوا بعد سوف يتكاتفون لإعادة بناء المقدسات المدمرة». لقد قصد من هذا اطلاع العالم أن لدى الأفارقة طريقة في المعيشة تجعلهم فخورين بها . كما أنه قد مهد الطريق امام (الكيكويو) للمطالبة بالمزيد من الأرض والحرية والقوة في بلادهم.

لم يقبل المستوطنون الأوروبيون ، الصورة التي رسمها كينياتا للماضي فبالنسبة لهم يختلف التاريخ الكيني ، فالكثير منهم عملوا بجد مع آبائهم وأجدادهم ولفترة طويلة لإنشاء المزارع الواسعة والتي لم تكن من قبل ، فقد وجدوا بلداً قاحلاً فارغاً وحولوه الى حديقة غناء ، فأعطتهم الحكومة حق تملك الأراضي . بدا لهم الأمر الآن أن معظم الأفارقة قانعون بحكم البيض لهم ،

فقط شباب (الكيكويو) هم الذين كانوا يطالبون علانية بالتغيير، لذلك فقد اتهموا قادة (الكيكسويسو) مثل كينياتا بالتسبب في إثارة المتاعب التي بدأت.

تسارعت الأحداث بعد عودة كينياتا إلى كينيا عام ١٩٤٦، وسرعان ما بدأت جمعية (الماو ماو) السرية عملها المفزع، فبدأ أعضاؤها بمهاجمة وقتل المزارعين وخدمهم المخلصين، وبما أن الحركة كانت تهدف الى إخراج مالكي الأراضي الأوروبيين من كينيا فلم يشترك فيها إلا أعضاء من قبيلة كيكويو.

خلال السنوات القليلة اللاحقة قتل العديد من الأوروبيين والآسيويين وفي بعض الأحيان بطرق مفجعة لكن أكثر الذين عانوا من ذلك كانوا هم (الكيكويو) أنفسهم فأولئك الذين رفضوا الانضمام الى (الماوماو) قتلوا أبشع قتله، وآخرون سجنوا أو قتلهم جنود الحكومة، اعتقل (جومو كينياتا) وأرسل إلى السجن لانتمائه الى (الماوماو) ولكونه أحد قادتها، وحتى الآن لم يثبت أي دور لعبه ـ إذا كان قد لعب دوراً في حركة (الماو ماو)، ولكن في ذلك الوقت، اشتبه معظم الأوروبيين أن له يداً في الحركة التي كلفت أرواحاً عديدة.

لحسن الحظ فقد كان لكينيا قادة من البيض والسود وبإمكانهم رؤية جانبي الموضوع، ويعتقدون أن الأفارقة والآسيويين والأوروبيين يحتاجون بعضهم البعض ويمكنهم أن يتعلموا احترام حقوق بعضهم البعض.

وبما أن الافارقة كان عددهم يفوق عدد الأجناس الآخرى

عشر مرات فكان من الواضح أنه لا بد لهم من الحصول على معظم الأصوات في الانتخابات، ولكنهم لا حظوا أن الأجناس الأخرى لديها الثروة والتدريب والخبرة والتي كانت ذات قيمة كبيرة بالنسبة لهم.

استغرق الأمر عدة سنوات لتسهيل طريق الحكومة الذاتية في كينيا، لكن عندما حان الوقت للجميع لانتخاب قادتهم صوتوا إلى جانب حزب كينياتا وجعلوه رئيساً للوزراء، وسرعان ما ألقى ذلك الخطاب الداعي الى السلام على المستوطنين البيض، كما عيّن رجالاً من البيض في مراكز هامة في حكومته، وفوق ذلك كله أراد أن يوحد كينيا، بوجود كل أطرافها المختلفة.

كان هناك فرح عظيم بيوم الاستقلال عام ١٩٦٣، خلال سنوات الكفاح لأجل الاستقلال اعتادت الجماهير الافريقية أن تطلق صرخة اسمها (أوهورو) والتي تعني الحرية، أما الآن وقد حصلوا على حريتهم فقد حث كينياتا شعبه على تذكر المهمات الصعبة التي أمامهم، فلديهم الكثير لعمله من أجل بناء أمة جديدة، ويمكنهم النجاح فقط إذا ما ساعد الجميع، طلب منهم أن يستعملوا صرخة جديدة، وهي الكلمة التي تستعملها مجموعات العمال عندما يرفعون حملاً ثقيلاً (هارامبي) وتعني لندفع جميعاً معاً. ولم تكن فكرة سهلة لتوضع قيد التنفيذ.

منذ عام ١٩٦٣ أجبر العديد من الأوربيين والآسيويين على ترك البلاد التي اعتبروها بلادهم، لكن في يوم الاستقلال كانت الجماهير الحاشدة تصرخ تلك الكلمة التي علمهم إياها (جومو كينياتا)، كان هناك حشود مؤلفة من عدة قبائل وأجناس، ولم

يكن ما يصرخون به هو صوت رجل واحد أو قبيلة واحدة أو جنس واحد أو أمة، لقد كان هارامبي، هارامبي، (لندفع كلنا سوياً).

بقي جومو كينياتا رئيساً للوزراء وفيما بعد رئيساً لكينيا لمدة خمسة عشر عاماً، حتى وفاته في شهر آب من عام ١٩٧٨، لقد كان شخصاً محترماً في كافة أنحاء أفريقيا والعالم كزعيم مسالم قوي لاستقلال أمة، وبقي أباً لشعبه حتى النهاية.

كان آخر يوم في حياته مشغولاً وسعيداً بالنسبة لرجل تجاوز الخامسة والثمانين فقد استضاف سفراء بلاده في الداخل والخارج وقام بجولة في قيادة السيارة عبر القرى الساحلية، وكان يبتسم وظهر أنه بصحة جيدة عندما عاد.

لقد كانت صدمة عظيمة للخمسة عشر مليوناً من سكان كينيا أن يعلموا أن الجد الكبير قد توفي أثناء نومه في صباح اليوم التالي.

ثمن الحرية

جون كيندي

جون كيندي وضع بصماته على السياسة الدولية



كانت هناك مباراة بكرة القدم تجري بعد ظهر أحد الأيام الباردة عام ١٩٣٧. كان اللاعبون من طلاب جامعة هارفارد، التي تقع قرب بوسطن في الولايات المتحدة الأميركية وكرة القدم الأميركية لعبة قاسية من السهل أن تصاب بالأذى خلالها، واللاعبون عادة هم من الشباب الأقوياء صلبي العود، ولكن في هذه اللعبة كان هناك أحد اللاعبين طويلاً ورفيعاً ولم يكن ثقيلاً بما يكفي للعبة كرة القدم، لكنه كان يرنو إلى النجاح على الرغم من ذلك كان يحب الألعاب الخارجية ويمارس معظمها فكل ما يقوم به، يقوم به من أعماق قلبه لقد كان جون فيتزجيرالد كيندي والذي سيصبح بعد ثلاثة وعشرين عاماً من هذا التاريخ رئيساً للولايات المتحدة.

مع أزدياد حمى الاستمتاع باللعب هجم الجميع على الكرة فسقطوا فوق بعضهم على الارضية الصلبة القاسية فكان جون كيندي في الأسفل نهض الآخرون مستعدون لإكمال اللعبة وبقي هو على الأرض، في البداية كان من الصعب عليه الحركة، شعر وكأن شيئاً التوى في ظهره، ولم يستطع تحريك يديه أو قدميه، نهض معتدلاً ببطء على قدميه، والآلام الحادة تمزق ظهره لكنه رفض أن يساعده أحد وهو خارج من الملعب في ذلك اليوم آذى ظهره بشكل سيء مما سبب له المشاكل بقية حياته لكن قليلا من الناس في ذلك الوقت أو فيما بعد عرفوا ما يقاسيه هذا الرجل الجذاب المشغول دائماً من آلام إذ لم يكن من صفاته الاستسلام.

ولد جون كيندي وكما يقول المثل «وفي فمه ملعقة من ذهب» وكان والده جوزيف كيندي رجل بنوك ثرياً وأمه «روز» كانت

ابنة سياسي معروف من بوسطن تلقت تعليمها في فرنسا، وكان لدى جون كيندي ما يكفي لكي يدفع لكل واحد من أبنائه التسعة مليون دولار عندما يبلغ الواحد والعشرين من العمر، لم يكن يتوجب على جون أن يكافح فليس عليه أن يعمل ليعيل نفسه.

كان والداه قد ربيا أولادهما على الاستفادة من حياتهم بغض النظر عن الثروة القادمة إليهم وعلموهم أن يناضلوا بكل قوتهم لأجل ما يؤمنون به وألا يخشوا المنافسة، علموهم أن يواجهوا الحياة بشجاعة ودون شكوى وعلى الرغم من أن جون قد حصل على أفضل طبيب، يمكن أن توفره النقود إلا أنه لم يحظ بنعمة الصحة الجيدة والشفاء التام.

كانت عائلة كيندي عائلة حية يتشاجر أبناؤها فيما بينهم كما يفعل معظم الأطفال، لكنهم كانوا مخلصين لبعضهم البعض، يعود أصلهم إلى عائلة ايرلندية ويتبعون الكنيسة الكاثوليكية وكان دينهم مهماً بالنسبة لهم وتعلموا منذ الطفولة أن يدافعوا عن معتقداتهم لكون الولايات المتحدة بلداً بروتستانتياً «معظم سكانه من البروتستانت».

كان الوالدان «كيندي» طموحين بالنسبة لأبنائهم فلا شيء يبدو مستحيلاً إذ أن أجدادهم وصلوا إلى أمريكيا مفلسين وغير متعلمين وجمعوا ثروتهم، وهما نفسيهما عملا بجد لإعطاء أبنائهم فرصة جيدة في الحياة فمن يدري ماذا يمكن أن يفعل جون وأخوه وأخته؟

تطلع الأطفال إلى أخيهم الأكبر «جو» ليقود لهم المسيرة ومثل كل الأطفال الأميركيين فقد كان يأمل أن يكون رئيساً ذات يوم كان سريع الغضب وطالباً جيداً وقائداً موثوقاً به درس ليكون محامياً وبدا واثقاً من أنه سيصبح سياسياً مثل أجداده.

أما جون فكان أكثر هدوءاً، يحب الكتب ويدرس على الرغم من أنه لم يحصل على علامات كاملة في المدرسة مثل أخيه، فكان يبدو أنه سيصبح معلماً أو كاتباً.

عندما كبر الأولاد بدأوا في التنقل بين الدول الأجنبية فقضى جون الصيف في انجلترا عندما كان في الثامنة عشر من عمره، وعندما كان في العشرين سافر عبر أوروبا مع أحد أصدقائه وكان ذلك عام ١٩٣٧ وأوروبا تقترب من الحرب العالمية الثانية.

لم يكن معظم الأميركيين يهتمون بما يجري خارج الولايات المتحدة لكن عندما عاد جون إلى هارفارد بدأ يهتم بشكل جدي أكثر بالتاريخ والسياسة وكان ما يزال يقضي أكثر الوقت خارجاً يمارس السباحة وركوب البحر.

في عام ١٩٣٨ عين جوزف كيندي سفيراً للولايات المتحدة في لندن فحلق به جون في ذلك الصيف ثم عاد في الربيع أيضاً.

كانت الحرب على وشك أن تضع أوزارها مما غير حياتهم جميعاً، وسنحت فرصة لا تعوض لابن السفير كي يتعلم ويتعرف على ما يحدث حوله إذ أنه كان يحمل الرسائل والمعلومات لوالده من بلد إلى آخر، وغادر ألمانيا قبل أيام عدة من بدء الحرب.

كان من الممكن أن يكون تاريخ أمريكيا مختلفاً كلياً لو أن «جو» كيندي لم يمت خلال الحرب، فقد كان من المتوقع أن يكون هو الرئيس إلا أن الطائرة التي كان يركبها انفجرت عام ١٩٤٤ فوق سواحل فرنسا وقتل في هذا الحادث.

انضم كلا الشابين إلى الخدمة العسكرية قبل أن تدخل أمريكيا الحرب، قاتلا بشجاعة عظيمة، وتعرض جون نفسه للموت عندما غرق قاربه نتيجة عملية معادية في المحيط الباسفيكي، وتاه هو ورجاله مدة أسبوع كامل واعتقد بأنهم قد غرقوا، لكن جون أنقذ نفسه ورجاله ببسالته وحسه القوي بالمسؤولية، فما كان ليستسلم ما دام هناك حياة وقوة، وعملية هروبهم هي بحد ذاتها قصة ممتعة، إذ ما كاد قاربهم يغرق تحتهم حتى قرر الرجال ألا يستسلموا لعدوهم وذلك باللجوء إلى جزيرة قريبة وبدلاً من ذلك توجهوا نحو جزيرة أخرى تبعد عدة أميال فطافوا على ألواح الى الشاطىء وكان أحد رفاقه قد جرح فسحبه جون ـ والذي كان سباحاً ماهراً ـ بواسطة حبل أمسكه بأسنانه حتى وصلوا الجزيرة، كان مرهقاً تلك الليلة بعدما يقرب من اثنتي عشرة ساعة في الماء لكنه مع ذلك سبح مرة أخرى للبحث عن نجدة وإستمر بالمحاولة مرة تلو الأخرى لمدة اسبوع للحصول على نجدة لرجاله الأحد عشر الذين لا طعام ولا ماء لديهم وأخيراً اكتشف أحد سكان الجزيرة الاصليين والذي ثبت أنه صديق للأمريكان فحمل رسالة منهم أدت إلى قدوم قارب أمريكي لإنقاذهم بعد أن وهنت أجسادهم وأصابهم المرض وماكانوا ليستمروا على قيد الحياة مدة أطول من ذلك.

لقد جلبت شجاعة جون له التقدير لكن كان لا بد له من أن يضحي بقوته، فقد بقي مريضاً لمدة تزيد عن عام بعد إنقاذه وأجبر على التقاعد من البحرية، كانت الحرب على وشك أن تنتهي لكنه كان وقتاً عصيباً بالنسبة له إذ علم أن أخاه وزوج أخته قد قتلا.

كان على جون أن يحدد ماذا سيفعل بعد ذلك، فذهب إلى اجتماع سان فرانسيسكو الذي ابتدأت منه منظمة الأمم المتحدة كمراسل صحفي، فقد كان حدثاً عالمياً عاماً، وعندما عاد إلى بوسطن قال له والده أن أحد أعضاء الكونغرس من ولايتهم (ماساشوستس) سوف يترك مقعده «فلماذا لا ترشح نفسك لانتخابات الكونغرس ياجون؟» فكر جون بالأمر وقرر أن يحاول

بدا من المستحيل أن يتم انتخابه فقد كان شاباً غنياً ولا يملك خبرة حتى تكون لديه فرصة حقيقية في الفوز وهناك تسعة مرشحين آخرين والمنافسة على أشدها، وعلى الرغم من أنه كان طويلاً وقوياً ويملك عينين براقتين وابتسامة ودودة فقد كان نحيفاً وشاحباً ويبدو ضعيف البنية ـ كانت هناك نقاط لصالحه أولها شجاعته وثانيها صدقه إذ أن ماساشوستس قد نالت حصتها من السياسيين غير الصادقين.

وقد ساعدت أموال عائلته في جعله معروفاً الى أكبر قطاع ممكن من الناس كما أن عائلته الكبيرة اتحدت في إلقاء الخطب وإقامة المناسبات العامة لصالحه وساعدته في الفوز بالكثير من الأصوات.

لكن أكثر هذه الأمور تأثيراً كان تصميم جون نفسه على النجاح كما كان دوماً إذ لا شيء يمكن أن يوقفه، عمل بجد واجتهاد وكان لا ينام إلا قليلاً ذهب إلى المنازل والمتاجر والمصانع والفنادق وأي مكان يمكنه أن يقابل الناس فيه ليصافحهم ووعد بأن يعمل لأجل ظروف أفضل للعمال، وتحسين الأجور وايجاد المساكن والرعاية الطبية، ولم يكن ابن الرجل الغني متكبراً فقد أظهر أنه مستعدٌ لمساعدة الناس الذين لا يستطيعون مساعدة أنفسهم، فكان أن انتخب بسهولة وأرسل إلى واشنطن كعضو في كونغرس الولايات المتحدة.

ومنذ هذا التاريخ أصبح جون كيندي بجديته وجاذبيته الولد الذهبي للسياسة الأمريكية ولا يمكن أن يخسر، بعد أن أمضى ست سنوات كعضو في الكونغرس عاد إلى واشنطن بمركز أكثر أهمية ألا وهو عضو مجلس الشيوخ (سيناتور) عن ولاية ماساشوستس.

ثم وفي عام ١٩٦٠ انتخب رئيساً لأغنى وأقوى دولة في العالم، ففي الثالثة والأربعين كان أصغر رئيس تعاقب على البلاد وأول رئيس يكون كاثوليكياً، لقد كانت عائلة كيندي بشبابها ومواهبها وجاذبيتها عائلة ملكية، وكانت زوجة جون المحبوبة «جاكولين» ملكة شابة وكانت عائلة كيندي ما تزال متماسكة، وأصبح روبرت أخو جون البالغ من العمر الآن الخامسة والثلاثين مستشاره المؤتمن والنائب العام للبلاد.

بعد ذلك بثلاث سنوات قتل كيندي فقد أطلقت عليه النار عندما كان يركب إلى جانب زوجته بسيارة مكشوفة عبر شوارع

دالاس تكساس، لكن ما الذي جعله خلال فترة رئاسته القصيرة يحتل مثل هذه الأهمية في السياسة الأمريكية؟ ولماذا اشتهر اكثر من الرؤساء الذين عاشوا فترة أطول وفعلوا أكثر مما فعل؟ ما الذي يعينه اسم جون كيندي؟.

ربما نجد الإجابة في خطابه الذي ألقاه يوم تنصيبه رئيساً إذ قال «لتعلم كل الأمم سواء أرادوا لنا الخير أم الشر، أننا سندفع، أي ثمن ونتحمل أي عبء ونواجه أي صعوبة وندعم أي صديق ونقابل أي عدو في سبيل ضمان بقاء ونجاح الحرية» لقد وعد بهذا وبأكثر منه.

لقد حاول مع أخيه النائب العام التأكيد على قوانين بلاده لتعطي السود فرصاً متساوية مع البيض فقال: «لقد حان الوقت ليوضح للجميع أن لا مكان للعرق أو اللون في القوانين والحياة الأمريكية» ولقد حاول - لكن دون أن ينجح - تحسين الرعاية الطبية لكبار السن وأراد تحسين التعليم.

أما في المجال الخارجي فقد أظهر للدول الأخرى أن أمريكيا مصممة على الدفاع عن حرية تلك الدول كما تدافع عن حريتها، وكان هذا الكلام صحيحاً فيما يتعلق بمدينة برلين التي زارها ورحبت به الجماهير العريضة هناك، فقد ساعد في التخفيف من خطر الحرب مع روسيا - وهي أكثر الدول التي تخشاها الولايات المتحدة - لكن البلدين اقتربا من الحرب خلال أزمة كوبا.

لكن أظهر التاريخ فيما بعد أن كينـدي كـرئيس للـولايات المتحدة ارتكب أخطاء فادحة فباسم الحرية قاد بلاده بقوة نحو

حرب وحشية لا أمل منها في فيتنام.

لقد كان كيندي هو الرجل الذي وضع بصماته على العالم في بداية الستينات، بدلاً من أولئك العجائز المتعبين الذين قادوا معظم الأمم، نجم جديد يشرق، شاب موهوب متألق شجاع، يقوم بالأمور على خير وجه اختار حياة السياسة القاسية لأنه أراد عالماً أفضل للجميع، لقد جعل الناس - الأمريكيين على وجه الخصوص - يحسنون التفكير بأنفسهم لأنه كان واحداً منهم.

لقد كان يعجب بشكل كبير بالشجاعة التي تجعل الرجال يتصدون لما يعتقدون انه صحيح. كتب ذات مرة كتاباً عندما كان يتعافى من مرضه عن أناس هم أمثلة حية على ذلك النوع من الشجاعة، وقد كان هو نفسه مثالاً على ذلك.

دفع كيندي ثمناً باهظاً لاختياره الحياة السياسية، كما أن أخاه روبرت المحبوب من قبل الشباب والفقراء قد دفع نفس الثمن بعده بفترة وجيزة.

إذ أن روبرت كان يمكن أن يكون رئيساً بدوره إلا أنه اغتيل بعد ثلاث سنوات فقط فهل خاطروا - كما يقول البعض - بكل شيء لأجل القوة والطموح وخسروا؟ أم هل اختاروا ن يدفعوا مثل أخيهم «جو» الذي قتل في سبيل بلاده - نفس الثمن المرتفع الذي تتطلبه الحرية؟؟!

القوة لأجل الحب

مارتن لوثر كينج

مارتن لوثر كينج ـ كان مؤمناً بالله والحرية.



«أن تكون زنجياً في أمريكيا فهذا أمل ضد الأمل» هذا ما كتبه مارتن لوثر كنج في آخر سنة من حياته، إذ أن تقدم الانسان الأسود في الولايات المتحدة من مرتبة العبودية إلى مرتبة الحر المتساوي في الحقوق كان تقدماً بطيئاً، وغالباً ما تحطم أمل السود على صخرة اليأس، وأضاف كنج يكتب عن السود «يملك الزنجي من الأمور الجيدة أكثر من الأبيض بمرة ونصف ويملك من الأمور السيئة أكثر من الأبيض بمرتين» كان غالبية السود يعيشون في بيوت سيئة ويتلقون نصف الأجور التي يتلقاها البيض، ونسبة العاطلين عن العمل بينهم ضعفي النسبة بين البيض ونسبة وفيات الأطفال نتيجة قلة العناية تصل إلى ضعف النسبة عند البيض، وقياساً الى عددهم فقد حارب ضعفي مثليهم من البيض في حرب فيتنام وقتل عدد كبير منهم في هذه الحرب، وكان السود ما زالوا يقومون بالأعمال غير المرضية ذات الأجر القليل، فهي الأعمال الوحيدة التي يمكنهم الحصول عليها.

كان هذا هو وصف الدكتور كينج لوضعهم بعد عشر سنوات من التقدم البطيء جداً وقد قام بأكثر من أي جهد فردي لشخص آخر ليجعل من ذلك التقدم أمراً ممكناً فلم يكن من زنوج أمريكيا الجيدين بل كان واحداً من أعظم رجالها.

عندما أغتيل كان في التاسعة والثلاثين من العمر وفي أوج قوته وتألقه، وبدا أنه كان يتفهم احتياجات السود وكيف يحصلون عليها، وكان مصمماً على ألا يؤذوا الآخرين خلال كفاحهم فلم يكن ليسمح باستخدام الأسلحة مهما كانت لقد علم

سعيه من السود أن يدافعوا عن أنفسهم لكن أن يفعلوا ذلك بتفهم وحب لهؤلاء الذين يقفون ضدهم.

«إن الحرية لا توهب بل تنتزع» والحقيقة المرة هي انه لا البيض ولا السود قد قاموا بما فيه الكفاية لاستقبال يوم جديد من الحرية حرية تنتزع من خلال الكفاح ضد المعاناة»

إذا أردنا أن نتفهم وضع الزنوج في أمريكيا فمن الضروري أن نعرف شيئاً عنهم من التاريخ.

ففي القرن الثامن عشر تم إحضار أعداد كبيرة من العبيد الأفارقة إلى الولايات المتحدة ليعملوا في مزارع القطن في الولايات الجنوبية، وفي ذلك الوقت كان معظم الناس يتقبلون فكرة العبودية، ولم يكونوا يفكرون بالظروف القاسية، واللاإنسانية، التي يقبض فيها على العبيد ويتم شحنهم إلى العالم الجديد، فقد كانوا يعانون ببشاعة ويموت الآلاف من الرجال والنساء والأطفال في الطريق.

وبعد أن أصبح العبيد أحراراً تناسوا الكثير عن ماضيهم الافريقي، فلم يشعروا بالفخر والاعتزاز بلغتهم ودينهم القديمين، فهم لا يعرفون سوى العمل الشاق في مزارع القطن والمعاناة البشعة من حياة العبودية، أما الدرس الذي تعلموه جيداً فقد كان إطاعة أوامر أسيادهم وعدم التذمر، وتقبلوا دين البلاد الجديدة ولغتها وقيمها لكن بلادهم الجديدة استمرت في رؤيتهم فقط كزوج من السواعد القوية أو ظهر قوي للعمل.

خلال السنوات المئة التالية انتشر الزنوج في كافة أنحاء الولايات المتحدة وكانت ظروفهم في الولايات الشمالية أفضل منها

في الجنوب ، لكن مع تدفق أعداد كبيرة من الفقراء من بلدان مختلفة إلى أمريكيا وتكوين ثروات بقي السود يحصلون على أسوأ الوظائف والمساكن والمدارس ، ولم يتوقعوا أي شيء أكثر من ذلك .

لكن أمريكيا بلاد غنية فبدأ السود أخيراً بالمطالبة بحصة كبيرة من ثروتها ـ وفي أجزاء عديدة من البلاد ـ وبخاصة في الجنوب ـ تم رفض مطالبهم بوحشية ، وكان ينظر لهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، ففي الولايات لجنوبية لم يكن بإمكانهم أن يأكلوا في نفس المطاعم أو يغسلوا في نفس غرف الغسيل ، و أن يسافروا في نفس المقاعد في الباصات والقطارات ، وحتى لو أنهم كانوا أغنياء لم يكن مسموحاً لهم العيش مثل بقية الأمريكيين .

بدأ مارتن لوثر كنج كفاحه الشعبي لأجل حقوق السود في عام ١٩٥٦ عندما كان في السادسة والعشرين ، وكان قد عاد للتو إلى الجنوب بعدأن أنهى تعليمه في الجامعات الشمالية ، وكان مثل أبيه وجده قسيساً مؤمناً بالمسيحية وتقع (كنيسته السوداء) في مونتغمري ـ الباما .

في أحد الأيام كانت هناك امرأة تدعى « روزا باركس » تسافر عائدة إلى منزلها من العمل في إحدى حافلات مونتغمري ، وكانت متعبة بعد يوم حافل بالتعب ، وجلست في احد المقاعد المخصصة للسود في مؤخرة الحافلة إذ كان البيض يستعلمون المقاعد التي في المقدمة لكن الحافلة كانت مزدحمة في تلك الليلة ولم يكن هناك مقاعد كافية للجميع . صعد أحد البيض ولم يجد مقعداً

فارغاً فطلب السائق من السيدة باركس أن تنهض وتعطيه مقعدها ، ومع أنها بعد ذلك لم تستطع أن تتخيل ما الذي جعلها تتصرف بتلك الطريقة - فهي تفعل عادة ما يطلب منها - إذ رفضت أن تتخلى عن مقعدها ، فطلب السائق شرطياً واعتقلت وسيقت الى السجن .

كان السود معتادين على مثل هذه الأحداث في مونتغمري ، وكانوا يعلمون أنهم لا يمكن أن يتوقعوا شيئاً غير هذا ، لذا فقد رضوا بالواقع لكنهم هذه المرة غضبوا فجاة ، فاجتمعت الحشود في الشوارع والكنائس ، وعندما سمع د . كنج بذلك قال : «يجب أن نتوقف جميعاً عن استخدام الحافلات» وكان هذا ما قصده بـ (أفعال مباشرة دون عنف) وهي أفعال تعبر عن مشاعر الناس القوية دون مهاجمة أحد وقد استوحى الفكرة من غاندي الذي اعجب به وكان يضع صورته فوق مكتبه . انتشرت الفكرة انتشار اللهب ، فلأول مرة يتحد السود لأجل هدف عام ، ومع أنهم اعتادوا استعمال الحافلات بكثرة لحاجتهم اليها ، لكنهم عانوا بما فيه الكفاية فرفضوا ركوب أية حافلة تفصل مقاعدها بين السود والبيض ، وصاروا يشتركون في ركوب سيارات بعضهم البعض وكان الكثير منهم يضطرون للسير أميالاً وأميال كل يوم للوصول إلى أعمالهم ، واستمر هذا الوضع قرابة عام ، وعندما كانت سيدة عجوز تسأل ما إذا كانت تمانع ، في المشي لمسافة طويلة كانت تقول أنها لا تمانع ، مع أن قدميها متعبتان إلا أن روحها كانت منتعشة فقد كان الناس ممتنون لأنهم وجدوا طريقة للتعبير عن غضبهم ومرارتهم .

كان السود يحتاجون إلى قائد قوي لا يخاف وكان مارتن لوثر كنج يعلم أية أخطار تتهدده عندما وافق على أن يكون قائدهم، وقد طلب من جماعته السود ذلك، الاحد أن يحبوا بعضهم بعضاً وأن يفكروا برفق في أعدائهم، ولكن هذا لم يكن سهلاً في مونتغمري لأن كل البيض وكل رجال الشرطة كانوا أعداءهم.

في النهاية حققوا ما أرادوه فلم تعد الحافلات مقسمة، إذ قررت المحكمة العليا في البلاد إيجاد مقاعد منفصلة للبيض والسود هو أمر مخالف للقانون، وخسرت شركات الحافلات مبالغ كبيرة من المال.

لكن الاضطرابات لم تنته، فقد أطلق البيض الغاضبون النار على الحافلات وعلى أربع كنائس للسود في المدينة، وألقيت قنبلة على منزل الدكتور كنج وكادت أن تقتل عائلته، كما أن منزل قسيس أبيض اتفق مع أصدقائه السود في الرأي قد تم نسفه.

خلال السنوات العشر التالية قاد مارتن لوثر كنج الصراع لأجل الحصول على (حقوق مدنية) كاملة للزنوج في الجنوب، فهناك الكثير منهم ولا يمكن هزيمتهم إذاما صمموا على المقاومة، وأخبرهم كنج أنه إذا ما سار مئة ألف من السود في مظاهرة إلى نقطة هامة في مركز المدينة فلسوف يجعلون من المستحيل على معظم موظفي الحكومة الأغبياء (الشرطة) أن يستعملوا السلاح ضدهم.

ذهبوا بأعداد كبيرة وجلسوا في المطاعم التي لا ترحب بالسود ورفضوا المغادرة إلا بعد أن جاءت الشرطة واقتادتهم، وبدأوا

يفهمون الناس أن لهم الحق وعليهم واجب انتخاب مسؤوليهم بأنفسهم، فالكثير منهم كانوا خائفين مما قد يحصل لهم من جراء عدم التصويت.

ازداد غضب البيض الجنوبيين، ففي ولاية المسيسيبي لوحدها قتل أكثر من أربعين مدنياً من السود والبيض وجرح أناس من كلا الطرفين ولم يعاقب أحد، كما أن أكثر من خمسين كنيسة للسود أحرقت أو فجرت وذات مرة قتل أربع فتيات صغار كان البيض يخشون بشدة مما قد يفعله السود إذا ما اكتشفوا قوتهم الذاتية.

ولان معظم الصراع ـ كما يقول د. كينج ـ لحصول السود على المساواة يجب أن يخوضه كل شخص أسود داخل نفسه أولاً، فعليه أن يقول «أنا شخص ما، أنا شخص، أنا إنسان ذو قيمة وشرف، لي تاريخ غني مشرف». على الرغم من قساوة ذلك التاريخ.

على كل رجل أن يفوز بحقه في أن يدعى رجلاً في بلد تسميه (غلام).

ولطالما قال له أبوه «لا أحد يستطيع أن يجعل منك عبداً إذا لم تكن تفكر مثل عبد».

كانت قوة (حركة الحقوق المدنية) تكمن في المظاهرات السلمية، ففي السابق قاتل زعماء السود من أجل الحصول على العدالة عبر المحاكم القانونية، بينما كان الناس ينتظرون ويأملون. لقد أدت المظاهرات الكبيرة التي قادها د. كينج

واتباعه إلى أن تضع كل شخص في حقل العمل، حتى الأطفال تظاهروا مطالبين بحقهم في الحرية، وكما حدث لآبائهم فقد تم اعتقالهم بأعداد كبيرة وأرسلوا إلى السجون، وكان د. كينج قد سجن عدة مرات.

في عام ١٩٦٣ قاد مظاهرة عظيمة إلى العاصمة واشنطن D.C. مائتان وخمسون ألف شخص معظمهم من البيض اجتمعوا في قلب البلاد (العاصمة) ينشدون للحرية (سنظفر ذات يوم) كان مارتن لوثر كنج هو المتحدث الرئيس، فتحدث إلى هذا الحشد الهائل كما لم يتحدث من قبل فرمى بالخطاب الذي كان قد أعده وتحدث بما جادت به قريحته:ـ «أقول لكم اليوم، على الرغم من أننا نواجه مشكلات اليوم وغداً فلا زال لدي حلم ـ كان يحلم ببلد يتساوى فيه الرجال ـ أحلم أن أطفالي الأربعة سيعيشون ذات يوم في بلد لا يحكم عليهم من خلال لون بشرتهم وإنما بقوة شخصياتهم، بمثل هذا الإيمان يمكننا أن نعمل سوياً وأن نناضل سوياً، وأن نسجن سوياً، وأن ندافع عن الحرية سوياً، ونعلم بأننا سنكون أحراراً ذات يوم».

كان جون كينيدي ـ كما عرفنا سابقاً ـ يعجب بمثل هذه الشجاعة التي ينتج عنها عمل، فقدم دعماً عظيماً لعائلة د. كنج عندما كان في السجن، وكانت وفاته فيما بعد عام ١٩٦٣ كارثة بالنسبة لهم جميعاً. كان مارتن لوثر كينج يعلم تماماً ان ما حدث لكينيدي يمكن أن يحدث له أيضاً، وكان يردد دائماً «المجتمع غير العادل هو مجتمع مريض يقتل فيه الرجال الطيبون دون سبب». وقد هوجم ذات مرة وكاد يقتل إذ هاجمته

امرأة سوداء بسكين لكنه تقبل هو وعائلته بشجاعة حقيقة أنه قد يقتل في أي يوم أثناء وجوده بين الحشود.

في عام ١٩٦٤ فاز بأعظم شرف* يمكن أن يفوز به رجل، لقد فاز بجائزة نوبل للسلام لقيادته للصراع السلمي والمساواة العرقية.

يومها كان فقط في الخامسة والثلاثين وكان رابع رجل ملون (غير أبيض) يفوز بالجائزة خلال أربع سنوات.

كان الشعور بالغضب يزداد لدى العديد من السود على التقدم البطيء لقضيتهم، وأرادوا استعمال العنف للوصول إلى نتائج، لكن كنج لم يوافق الحركة الجديدة على ما أسموه (القوة السوداء) وقال:ـ (اللاعنف هو قوة) لكنه الاستعمال الصحيح والأمثل للقوة من خلاله ننقذ البيض وننقذ الزنوج.

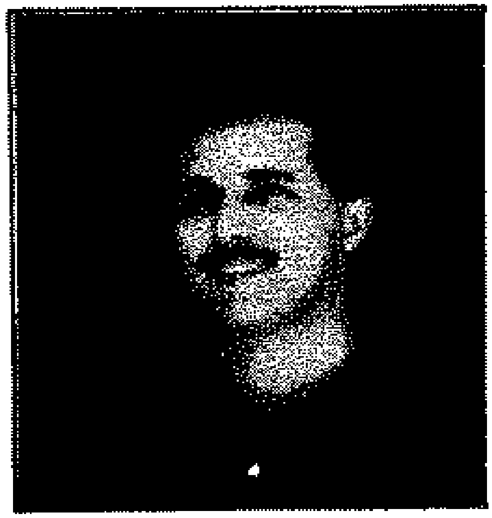
كما حدث مع غاندي فقد شاهد الحركة التي بدأها وقد أخذت بالانقسام، وبدأت جماعات مثل (حركة القوة السوداء) تيأس من إمكانية تعايش البيض والسود في بلد كهذا بسعادة معاً، وبدأ صبرهم ينفذ، أراد كينج أن يصل إلى البيض كما السود فكان يقول:ـ «يملك السود مفتاحاً واحداً من مفاتيح التغيير السلمي أما المفتاح الآخر فهو بأيدي البيض».

أصبح كنج قائداً ليس فقط للبيض وإنما لكل الفقراء في الشمال كما في الجنوب.

---

* حسب رأي المؤلفة وإن كنا لا نقرها بذلك لكن للأمانة العلمية نقلناها كما هي. المترجم

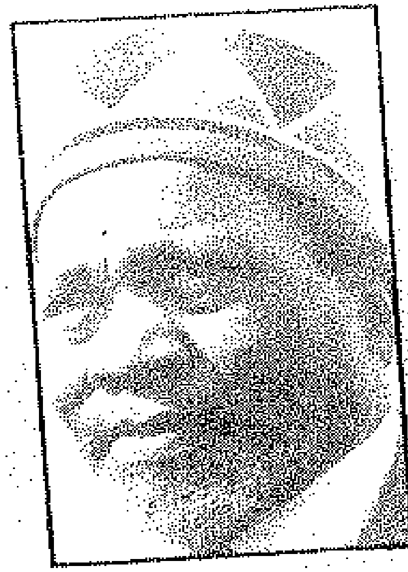
وكان يخطط لمسيرة كبرى للفقراء عندما اغتيل في الرابع من ابريل ١٩٦٨، وفي هذه المرة كان المهاجم من البيض، لقد أمضى الدكتور كنج حياته القصيرة وهو يحاول أن يجد طريقة أفضل لمواجهة المشاكل بدل استعمال السكين أو البندقية، لقد أعطى لآلاف الناس القوة التي يملكها بشكل كبير، القوة على حب الآخرين حتى في وجه الكراهية وعدم الظلم والعدالة والموت.



المترجم

عامر عثمان الصمادي

* رئيس نادي الحوار والفكر في جامعة اليرموك .
* عضو الهيئة الإدارية للمنتدى الانساني الأردني .
* حصل على بكالوريوس في الأدب الانجليزي/ جامعة اليرموك .
* اكمل دراسته العليا في قسم الترجمة/ الجامعة الأردنية .
* مثّل الأردن في عدد من المؤتمرات واللقاءات الشبابية في كل من اسبانيا ، السعودية ، العراق ، تركيا ، تونس ، الولايات المتحدة ، اندونيسيا ، عُمان .
* يعمل حالياً مذيعا في التلفزيون الاردني .

إن الجهد الطيب الذي بذله المترجم السيد عامر عثمان الصمادي يستحق أيضاً وقفة ثناء وإشادة. فقد نجح المترجم في نقل النص بلغة عربية سلسة استطاع من خلالها أن يجسر الهوة الحضارية بين النص الأجنبي وبين المتلقي العربي. وقد عرفت السيد عامر الصمادي كأحد طلابي النابغين أيام تدريسي في قسم اللغة الانجليزية بجامعة اليرموك. وقد استطاع أن يشق طريقه في الحياة الأكاديمية ومن ثم الابداعية والاعلامية بثقة واضحة وحماس متقد. ولا يساورني شك في أن السيد الصمادي سيواصل إبداعه وعطاءه في كل ما سيضطلع به من مسؤوليات في المستقبل، أشد على يده وأتمنى له إضطراد النجاح.

د. نبيل الشريف